ملخص البحث

كثر ورود الإحياء والإماتة في الصحيحين على سبيل الحقيقة أو المجاز، في مقامات متعددة، وهما لا يكونان على جهة الحقيقة إلا من الله ﷻ وحيث تعلقا بنفخ الروح وقبضها؛ فإذا أسندا إلى الله ﷻ وتعلقا بغير ذلك فهُما على المجاز، وإذا أسندا إلى غير الله ﷻ فهما على المجاز قطعًا، إلا ما كان من بعض خلقه بإذنه، كما كان من عيسى ﷺ وقد أُسند الإحياء والإماتة في الصحيحين إلى الله ﷻ وإلى غيره، فإذا أسنادا إلى الله ﷻ فهما على الحقيقة غالبًا؛ وعلى المجاز أحيانًا. وإسنادهما إلى غير الله ﷻ فأكثر ما يكون على المجاز.

وقد جاء هذا البحث بعنوان (الإِحْيَاءُ وَالإِمَاتَةُ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَاز، دَرَاسَةٌ بَلاغِيَّةٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ) واقتضتْ طبيعته أنْ يعتمدَ المنهجَ الوصفيَّ للدراسةِ، وجاء في مقدمة وتمهيد ومطلبين وخاتمة وفهارس، المقدمة: اشتمل على أهمية الموضوع ومنهجه وخطته. والتمهيد: اشتمل على: أولاً: التعريف بالإمامين البخاري ومسلمٍ وصحيحيهما. ثانيًا: تعريفُ الحقيقةِ والمجازِ وبلاغتُهما. ثالثًا: الإحياء والإماتة بين الحقيقة والمجاز. ومطلبا البحث هما: المطلب الأول: إسناد الإحياء والإماتة إلى الله ﷻ بين الحقيقة والمجاز. المطلب الثاني: إسناد الإحياء والإماتة إلى غير الله ﷻ بين الحقيقة والمجاز، ثم كانت الخاتمة، وثبت المصادر، ثم فهرس الموضوعات.

Abstract:

Revivification and deadening are frequently mentioned in the two major reliable books of Prophetic Hadith, both literally and metaphorically, in various contexts. These two concepts are used in their truth conditional values only when they are ascribed to the Almighty Allah, Who possesses the true power of giving and taking life, and when they are in relation to the insufflation and withdrawal of the soul. When attributed to the Almighty Allah in this context, they are literal; however, when attributed to Allah in other contexts or to beings other than Allah, they are definitely metaphorical, except for what was done by some of His creation with His permission, as was done by Jesus, may God be pleased with him. In the two major reliable books of Prophetic Hadith, revivification and deadening are attributed to the Almighty Allah and to some entities other than Him. If they are attributed to Allah - may He be glorified - then they are mostly literal and sometimes metaphorical. When attributed to some entities other than God, they are mostly metaphorical. This research adopts the descriptive approach and it consists of an introduction, a preface, two sections, a conclusion and indexes. The introduction includes the study significance, methodology and plan. The preface includes: firstly, a biography of the two Imams, Al-Bukhari and Muslim, and their two major reliable books of Prophetic Hadith. Secondly, definition of truth and metaphor and their rhetorical values. Thirdly, revivification and deadening in literal and figurative usages. The two sections of the research are as follows. Section One: Attributing revivification and deadening to the Almighty Allah between literal and figurative usages. Section Two: Attributing revivification and deadening to someone other than the Almighty between literal and figurative usages. The research ends with a conclusion followed by a bibliography and an index of topics.

Keywords: Revivification, Deadening, Literal Usage, Figurative Usage, the Two Major Reliable Books of Prophetic Hadith.

المقدمة

بسم الله الفتاح العليم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدًا رسولُ الله صلى الله عليه والنبيين، وآل كلٍّ ومَن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين،

وبعدُ:

فإن أنفعَ ما اشتغل به المسلم بعد كتاب الله ﷻ سنةُ نبيه ﷺ ولما كان الصحيحان أصح ما ورد من سنة النبي ﷺ فقد نالا العناية الكبرى من المحدّثين وغيرهم، وللإحياء والإماتة في الصحيحين حضور ليس باليسير، ففيهما ما يقارب خمسين حديثًا ذُكر فيهما لفظةُ الإحياءِ أو الإماتةِ أو مشتقاتِهما، قد يأتي ذلك مُسندًا إلى الله ﷻ على سبيل الحقيقة أو المجاز، وقد يأتي مسندًا إلى غيره ﷻ كذلك. وقد عُني البحث ببيان مواطن الإحياء والإماتة في الصحيحين، كاشفًا عن التعبير بهما على سبيل الحقيقة أو المجاز، فجاء بعنوان (الإِحْيَاءُ وَالإِمَاتَةُ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَاز، دَرَاسَةٌ بَلاغِيَّةٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ).

والإحياء تكوين الحياة في الجسد والإماتة إزالتها، فحقيقة الحياة في ملازمة الروح الجسد، والإماتة نزع تلك الروح وقبضُها. ومن المجاز قولهم: إحياء الأرض الميتة، وجعْل المسلم حيًّا، والكافر ميّتًا، ومنه: استحييت أسيري: أي تركته حيًّا، والحيا هو المطر، ومنه أُميتت الخمر، وماتت النار: خمدت، وماتت الريح: أي سَكنت، وأمات فلان الصلاة، إلى غير ذلك. على أن الإحياء والإماتة في البيان النبوي، واستعمالاتهما على سبيل الحقيقة والمجاز، لم يُدرس دراسة بلاغية فيما أعلم، مع وجود الحاجة إلى تحديد دلالتهما، وبيان وجه الحقيقة والمجاز فيهما، واكتنازهما كثيرًا من الاعتقادات التي تقوم على تصور صحيح لتلك القضية، وكان ذلك من أسباب اختيار هذا الموضوع.

وقد اقتضتْ طبيعةُ البحثِ أنْ يعتمدَ المنهجَ الوصفيَّ للدراسةِ، ذلك المنهج الذي يقوم على مجموعةٍ من الخطواتِ لتتبّعِ خصائصِ موضوع ما، ودراسته من خلالِ منهجيةٍ علميةٍ، تستطيع تصويرَ النتائجِ الموضوعية لهذا الموضوع(١). وقد قمت في ضوء ذلك بحصر المادة ومعرفة أبعادها كمًّا وكيفًا، وذكر مقاماتها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، ثم تحليلها

(١) ينظر: مناهج البحث العلمي تطبيقات إدارية واقتصادية، الرفاعي أحمد، صـ١٢٢، دار وائل للنشر ـ عمان، ١٩٩٨م.

تحليلاً بلاغيًّا، غير غافل أمارات الأحوال ومعطيات السياق.

وجاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد ومطلبين وخاتمة وفهارس:

المقدمة: اشتمل على أهمية الموضوع ومنهجه وخطته.

التمهيد: اشتمل على:

أولاً: التعريف بالإمامين البخاري ومسلمٍ وصحيحيهما.

ثانيًا: تعريفُ الحقيقةِ والمجازِ وبلاغتُهما.

ثالثًا: الإحياء والإماتة بين الحقيقة والمجاز.

مطلبا البحث:

المطلب الأول: إسناد الإحياء والإماتة إلى الله ﷻ بين الحقيقة والمجاز.

المطلب الثاني: إسناد الإحياء والإماتة إلى غير الله ﷻ بين الحقيقة والمجاز.

ثم كانت الخاتمة، سجلت بها أهم النتائج، وأردفتها بثبت المصادر والمراجع، ثم فهرس الموضوعات.

هذا وما كانَ من صوابٍ فما توفيقي إلا بالله، وما كانَ من خطأ أو نقصٍ أو نسيانٍ فذلك مذهبُ البشرِ وعادتُهم، قال الله ﷻ : ﴿ **قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا** ﴿٨٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٤] وصلى اللهُ على سيدِنا محمدٍ، وعلى آلهِ وصحبِه وسلمَ.

التمهيد:

أولاً: التعريف بالإمامين البخاري ومسلمٍ وصحيحيهما

الإمام البخاري وصحيحُه

البخاري هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بَرْدِزبَه[١] الجعفي، أبو عبد الله، حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله ﷺ ولد في بخارى وإليها يُنسب ليلة الجمعة الثالث عشر من شوال سنة أربع وتسعين ومائة للهجرة، وتربّى في بيت علم؛ إذ كان أبوه من العلماء المحدّثين، وتوفّي والإمام البخاري صغير، فنشأ البخاري يتيمًا في حجر أمه، وأقبل على العلم منذ الصغر[٢]. اشتُهر البخاري بين الناس بسمته وورعه، وقوة حفظه، فكان آية في الحفظ، ورحل في طلب الحديث فزار خراسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، وعُني بالحديث النبوي الشريف عنايةً تامةً، فجعل الله له لسان صدق في الآخرين، فما زال العلماء منذ عصره يلهجون بالثناء عليه وعلى كتابه الجامع الصحيح، قال عنه ابن كثير: "أبو عبد الله البخاريُّ الحافظُ، إمامُ أهل الحديث في زمانه، والمقتدى به في أوانه، والمقدم على سائر أضرابه وأقرانه، وكتابه الصحيح يُستقَى بقراءته الغمام، وأجمع العلماء على قبوله وصحة ما فيه، وكذلك سائر أهل الإسلام"[٣].

ومن أهم شيوخه الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني، ومن كتب البخاري (الضعفاء، خلق أفعال العباد، التاريخ الكبير والأوسط والصغير، الأدب المفرد) وغيرها، وممن أخذ عنه مسلم بن الحجاج، وابن خزيمة، وأبو عبد الرحمن النسائي، وأبو

---

(١) بَرْدِزبَه: بفتح الباءِ وكسر الدال المهمَلَةِ وسكون الزاي وفتح الباءِ: جَدُّ البخاريّ، فارسيَّةٌ، معْناها: الزَّرَّاعُ. القاموس المحيط، الفيروزآبادى، تح/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، صـ٦٠، بيروت ـ لبنان، الثامنة، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

(٢) ينظر: الإرشاد في معرفة علماء الحديث، أبو يعلى الخليلي، تح/ د. محمد إدريس، ٩٥٨/٣، بعدها، مكتبة الرشد . الرياض، الأولى، ١٤٠٩هـ. الأعلام، لخير الدين الزركلي، ٣٣/٦، ٣٤، دار العلم للملايين، الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م.

(٣) البداية والنهاية، تح/ علي شيري، ٣٠/١١، دار إحياء التراث العربي، الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م. وينظر: الإمام البخاري وكتابه الجامع الصحيح، د/ عبد المحسن العباد، مجلة الجامعة الإسلامية، السنة الثانية، ربيع الثاني، ع/٤، ١٣٩٠هـ، صـ٣٦ وما بعدها.

عيسى الترمذي، وغيرهم(١). وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في خَرْتَنْك (من قرى سمرقند) ليلة السبت وكانت ليلةَ الفطر، سنة ست وخمسين ومائتين، وعمره اثنتان وستون سنة(٢).

أما صحيح البخاري فقد اشتُهر بين الناس بهذا الاسم، وقد سمّاه البخاري (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) جمع فيه البخاري ما قطع بصحةِ سنده إلى رسول وكان السببُ في ذلك كما قال البخاري: "كنا عند إسحاقَ بنِ راهويه، فقال: لو جمعتم كتابًا مختصرًا لصحيح سنة رسول الله ﷺ قال: فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع الجامع الصحيح"(٣). وكانت الغاية من ذلك أن يميز بين الصحيح الثابت عن النبي ﷺ وغيرِه مما أصابه التضعيف، فلا يقال لغثِّهِ: سمين(٤).

لقد عُني البخاري بكتابه هذا عنايةً فائقة، وقال: "خرَّجت الصحيحَ من ستمائة ألف حديث، ... وقال: لم أُخرّج في هذا الكتاب إلا صحيحًا، وما تركت من الصحيح أكثر"(٥). ولم يكتف بجمع الأحاديث وترتيبها، بل جعل لها كُتبًا، وبوب لها أبوابًا على ما استنبطه منها، حتى قال ابن حجر: "اشتُهر من قولِ جمع من الفضلاء: فقه البخاري في تراجمه"(٦)، وكرر بعض الأحاديثِ بحيث إنه يستنبط من الحديث حكمًا فيجعل له ترجمة، ثم يستنبط منه حكمًا آخر، فيجعل ما استنبطه ترجمةً، ثم يورد الحديث مرة أخرى، لكنه "قلما يورد حديثًا في موضعين بإسناد واحد ولفظ واحد، وإنما يورده من طريق أخرى، منها أنه يُخرّج الحديث عن صحابي، ثم يورده عن صحابي آخر، والمقصود منه أن يُخرِج الحديث عن حد الغرابة، فيعتقد من يرى ذلك من غير أهل الصنعة أنه تكرار، وليس كذلك لاشتماله على فائدة زائدة"(٧).

---

(١) ينظر: تذكرة الحفاظ، الذهبي، ١٠٤/٢، وما بعدها، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م. الأعلام ٣٣/٦.

(٢) البداية والنهاية ٣٣/١١.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تح/ محمد فؤاد عبد الباقي، ٧/١، دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٧٩م.

(٤) ينظر: الإمام البخاري وكتابه الجامع الصحيح، د/ عبد المحسن العباد، صـ٣٨.

(٥) فتح الباري، ابن حجر، ٧/١.

(٦) فتح الباري، ابن حجر، ١٣/١.

(٧) فتح الباري، ابن حجر، ١٥/١. وينظر: الإمام البخاري وكتابه الجامع الصحيح، د/ عبد المحسن العباد، صـ٣٩، ٤٢.

الإمام مسلم وصحيحُه

هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القُشَيْرِي، النيسابورى وطنًا العربي الأصل والنسب، فهو يُنسب إلى قبيلة قشير، وهي قبيلة عربية معروفة، والنيسابوري نسبة إلى بلدة نيسابور، إحدى بلدان خرسان، إيران حاليًا(١)، ولد سنة أربع ومائتين للهجرة، ونشأ في بيت علم وسعة من العيش، مما ساعده على الإقبال على العلم، فرحل إلى الحجاز والعراق والشام ومصر، ومن شيوخه ابنُ أبي شيبة، وإسحاقُ بن راهويه، ويَحيى بن علي المديني، والبخاريُّ، وغيرهم، قال الخطيب البغدادي: "إنما قفا مسلم طريق البخاري، ونظر في علمه، وحذا حذوه، ولما ورد البخاري نيسابور في آخر أمره لازمه مسلم، وأدام الاختلاف إليه"(٢).

وقال عنه النووي: "هو أحد أعلام أئمة هذا الشأن وكبار المبرّزين فيه، وأهلِ الحفظ والإتقان، والرحالين فى طلبه إلى أئمة الأقطار والبلدان، والمعترفِ له بالتقدم فيه بلا خلاف عند أهل الحِذْق والعرفان، والمرجوعِ إلى كتابه، والمعتمَدِ عليه فى كل الأزمان"(٣). وللإمام مسلم مؤلفات كثيرة منها (المسند الكبير، الكنى والأسماء، الأقران، مشايخ الثوري، أولاد الصحابة، أوهام المحدثين، الطبقات) وتُوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة إحدى وستين ومائتين(٤).

أما صحيح مسلم فقد سَمَّاه الإمام صاحبه بـ (المسند الصحيح) حيث قال: "صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة"(٥)، واشتُهر بين العلماء بـ (صحيح مسلم) وسماه ابنُ خير الإشبيلي: (الْمسند الصَّحِيح الْمُخْتَصر من السّنَن بِنَقْل الْعدْل عَن الْعدْل عَن رَسُول الله ﷺ) (٦). وبيّن الإمام مسلم في مقدمة كتابه سببَ تأليفه؛ لقد سأله رجل

---

(١) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، ١٠/١، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الثانية، ١٣٩٢هـ. الأعلام، الزركلي، ٢٢١/٧.

(٢) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، تح/ مصطفى عبد القادر عطا، ١٠٣/١٣، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الأولى، ١٤١٧هـ. ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، ١١/١ وما بعدها.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، ١٠/١.

(٤) ينظر: الأعلام، الزركلي، ٢٢١/٧.

(٥) تاريخ بغداد ١٠٢/١٣.

(٦) فهرسة ابن خير الإشبيلي، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الإشبيلي، تح/ محمد فؤاد منصور، صـ٨٥، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

رجل أراد أن يتعرف على جملة من الأخبار المأثورة عن الرسول ﷺ في سنن الدين وأحكامه، وَمَا كَانَ مِنْهَا فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فكان هذا الكتاب إجابةً لسؤال ذلك الرجلِ(١).

وقد راعى فيه الدقةَ، ولم يخرّج فيه إلا ما ثبت لديه صحتُه، فقال: "وَاعْلَمْ - وَفَّقَكَ اللهُ تَعَالَى - أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ عَرَفَ التَّمْيِيز بَيْنَ صَحِيحِ الرِّوَايَاتِ وَسَقِيمِهَا، وَثِقَاتِ النَّاقِلِينَ لَهَا مِنَ الْمُتَّهَمِينَ، أَنْ لَا يَرْوِيَ مِنْهَا إِلَّا مَا عَرَفَ صِحَّةَ مَخَارِجِهِ، وَالسِّتَارَةَ فِي نَاقِلِيهِ، وَأَنْ يَتَّقِيَ مِنْهَا مَا كَانَ مِنْهَا عَنْ أَهْلِ التُّهَمِ وَالْمُعَانِدِينَ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ"(٢). ومكث يكتب فيه خمسَ عشرةَ سنة؛ قال أحمد بن سلمة من تلامذة مسلم: "كتبْتُ مع مسلم في تأليف صحيحه خمسَ عشرةَ سنة، وهو اثنا عشرَ ألفَ حديث"(٣).

مقامات ورود الإحياء والإماتة في الصحيحين

ورد الإحياء والإماتة كثيرًا في الصحيحين وهذا حصر بأرقام ورودها في الصحيحين ومقاماتها(٤):

المقام	صحيح البخاري	صحيح مسلم
إماتة الخلق وإحياؤهم	٣٣٧٢، ٤٥٣٧، ٧٥٥٨	١٥٢ (١٥١)، ٢٣٨ (١٥١)
الترغيب في الشهادة	٣٦، ٢٧٩٧، ٢٩٧٥، ٧٢٢٦، ٧٢٢٧	١٠٣ (١٨٧٦)
النوم والاستيقاظ	٦٣١٢، ٦٣١٤، ٦٣٢٤، ٦٣٢٥، ٧٣٩٤	٥٩ (٢٧١١)، ٦٠ (٢٧١٢)
فتنة الدجال	١٨٨٢، ٧١٣٢	١١٢ (٢٩٣٨)

(١) ينظر: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، للإمام: مسلم بن الحجاج، تح/ محمد فؤاد عبد الباقي، ٣/١، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٢) صحيح مسلم ٨/١.

(٣) تذكرة الحفاظ، ١٢٦/٢.

(٤) هذه المقامات استنبطها البحث من متون الأحاديث وسياقاتها، وليست عناوينَ الكتبِ والأبواب والأبواب في الصحيحين.

الترهيب من الكذب عليه ﷺ	٣٦١٧	
الترهيب من أكل أموال الناس	٢٠٩١، ٢٤٢٥، ٤٧٣٣، ٤٧٣٤	
إماتة أهل النار من المؤمنين		٣٠٦ (١٨٥)
إحياء الليل	٢٠٢٤، ٣٦٥٢	١٢٩ (٧٣٩)، ٧ (١١٧٤)
إماتة الصلاة		٢٣٨ (٦٤٨)، ٢٣٩ (٦٤٨)
الترهيب من التصاوير	٢١٠٥، ٣٢٢٤، ٥١٨١، ٥٩٥١، ٥٩٥٧، ٥٩٦١، ٧٥٥٧، ٧٥٥٨	٩٦ – (٢١٠٧)، ٩٧ – (٢١٠٨)
إحياء أمر الله ﷻ	٤٤٧٤، ٤٧٠٣	٢٨ (١٧٠٠)
إحياء الموؤودة	٣٨٢٨	

ثانيًا: تعريفُ الحقيقةِ والمجازِ وبلاغتُهما

الحقيقة مادتها (حقق) "الْحَاءُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى إِحْكَامِ الشَّيْءِ وَصِحَّتِهِ"(١)، وهي عند البلاغيين "الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع ... والحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما تدل عليه بنفسها دلالةً ظاهرةً، كاستعمال الأسد في الهيكل المخصوص، أو القُرْء في أن لا يتجاوز الطهر والحيض غير مجموع بينهما"(٢). والمجاز أصله مجْوَز، من جاز المكان أي تعداه، ومنه "مفرد ومركب؛ أما المفرد فهو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له، في اصطلاحٍ به التخاطب، على وجهٍ يصح مع قرينةِ عدم إرادته. وأما المجاز المركب فهو اللفظ المركب المستعمل فيما شُبِّه بمعناه الأصلي

(١) معجم مقاييس اللغة، تح/ عبد السلام محمد هارون، مادة (حقّ) دار الفكر، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
(٢) مفتاح العلوم، لأبي يعقوب السكاكي، تح/ عبد الحميد هنداوي، صـ٤٦٧، ٤٦٧ بحذف، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، الثانية، عام٢٠١١م.

تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه"(١).

وكلٌّ منهما عقليٌّ ولغويٌّ؛ أما العقليُّ فحاصلٌ من جهة الإسناد، واللغويُّ من جهة اللغة، والحقيقة أصل، والمجاز فرع عنها، قال ابن الأثير: "اعلم أنه إذا ورد عليك كلامٌ يجوز أن يُحْمَل معناه على طريق الحقيقةِ وعلى طريق المجازِ باختلاف لفظه، فانظر: فإن كان لا مزيةَ لمعناه في حمله على طريق المجاز، فلا ينبغي أن يُحمل إلّا على طريق الحقيقة؛ لأنها هي الأصل، والمجاز هو الفرع، ولا يُعدَل عن الأصل إلى الفرع إلّا لفائدة"(٢). ولما كانت الحقيقة هي الأصل، فإن اللفظ لا يُستعمل على حقيقته إلا في ذلك الأصل، والمجاز فرع متعدد الاستعمالات، فالكلمة تستعمل في الأصل مرة، لكنها مستعملة في الفرع مرات، وعليه كانت الاستعمالاتُ المجازية أكثرَ من الحقيقية، قال ابن جنيّ: "اعلم أن أكثر اللغة ـ مع تأمله ـ مجاز لا حقيقة"(٣)، وقد كان ابن جنيّ يسمّي المجازَ شجاعة العربية(٤).

ولعل كونَ الحقيقة أصلٌ والمجازَ فرعٌ عنها يفسر قولَ البلاغيين: إن المجاز أبلغ من الحقيقة، كقول ابن رشيق: "والمجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعًا في القلوب والأسماع"(٥)، وقال الإمام عبد القاهر: "قد أَجمعَ الجميعُ على أن الكنايةَ أَبْلَغُ منَ الإفصاحِ، والتعريضَ أَوْقَعُ من التَّصريح، وأنَّ للاستعارةِ مزيةً وفَضلاً، وأنَّ المجازَ أَبدًا أبلَغُ منَ الحقيقة"(٦). فإنه لما كانت الحقيقة هي الأصلَ فلا مزيةَ لها من حيث كونُها حقيقةً،

---

(١) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، صـ٤٥٩، ٥١٢، مكتبة الآداب ـ القاهرة، الأولى، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تح/ أحمد الحوفي، بدوي طبانة، ٨٩/١، دار نهضة مصر، الفجالة ـ القاهرة، د ـ ت. وينظر: بلاغة أسلوب الحقيقة دراسة وتقويم، أحمد فريد أبو سالم، مجلة بحوث التربية النوعية، جامعة المنصورة، صـ٢١٦ وما بعدها، ع/٢٠، فبراير ـ ٢٠١١م.

(٣) الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جنيّ، ٤٤٩/٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الرابعة، د ـ ت.

(٤) ينظر: الخصائص ٤٤٤/٢ وما بعدها.

(٥) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد، ٢٦٦/١، دار الجيل، الخامسة، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

(٦) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه/ محمود محمد شاكر، صـ٧٠، مطبعة المدني، دار المدني بجدة، الثالثة، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م. وينظر: بلاغة أسلوب الحقيقة دراسة وتقويم، صـ٢٢٥.

لكنّ مزيتَها في الطريق الذي تؤدَّى به هذه الحقيقةُ، ومن ذلك قولنا: (لا إله إلا الله) إنها من أبلغ القولِ وأشرفه، جاءت تلك الكلمة كلمةُ التوحيد على طريق الحقيقة، ولا يُسأل لذلك عن علة؛ لأنها الأصل ولا مقتضى للعدول عنها، وإنما تكمن بلاغتها في مجيئها عن طريق النفي والاستثناء فأفادت القصر والحصر. أما المجاز فيلزمه ميزة العدول عن الحقيقة إلى المجاز، وترك الأصل إلى الفرع، وهذا ما ألزمه بلاغة من حيث كونُه مجازًا، والله أعلم.

ثالثًا: الإحياء والإماتة بين الحقيقة والمجاز

الحياة نقيض الموت، والإحياء نقيض الإماتة، يقول ابن فارس: "الْحَاءُ وَالْيَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا خِلَافُ الْمَوْتِ، وَالْآخَرُ الِاسْتِحْيَاءُ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْوَقَاحَةِ. فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَالْحَيَاةُ وَالْحَيَوَانُ، وَهُوَ ضِدُّ الْمَوْتِ"(١). ويقول: "الْمِيمُ وَالْوَاوُ وَالتَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى ذَهَابِ الْقُوَّةِ مِنَ الشَّيْءِ، ومِنْهُ الْمَوْتُ: خِلَافُ الْحَيَاةِ"(٢).

وجاء في لسان العرب "الحَيَاةُ: نَقِيضُ الْمَوْتِ، والحَيُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: نقيضُ الْمَيِّتِ، وَالْجَمْعُ أَحْيَاء، والحَيُّ: كُلُّ مُتَكَلِّمٍ نَاطِقٍ، والحيُّ مِنَ النَّبَاتِ: مَا كَانَ طَرِيًّا يَهْتَزّ "(٣).

الحياة والموت بين الحقيقة والمجاز:

اختُلف في حقيقة الحياة والموت كليهما، وفي الموت خاصة؛ أهو وجود أم عدم؟ لكنهما يدوران في معناهما الحقيقي حول ملازمةِ الروح الجسد فتكون الحياة، ومفارقتِها له فيكون الموت؛ "فالحياة: هي صفة توجب للموصوف بها أن يعلَم ويقْدِر. والموت: صفة وجودية خُلقت ضدًّا للحياة"(٤). وقيل: الموت "عدم الحياة عما وجد فيه الحياة ... والإماتة: جعلُ الشيء عادمَ الحياة ابتداءً"(٥).

يقول القرطبي: الموت هو "انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقتُه، وتبدلُ الحال، والانتقالُ من

---

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة: (حيّ).

(٢) السابق مادة: (مَوَتَ).

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة: (موت – حيا) دار صادر ـ بيروت، الثالثة، ١٤١٤هـ.

(٤) معجم التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تح/ محمد صديق المنشاوي، صـ٩٤، ٢٣٥، دار الفضيلة ـ القاهرة، ٢٠٠٤م.

(٥) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح/ عدنان درويش، محمد المصري، صـ٨٥٧، صـ٨٥٧، ٨٥٨، بحذف، مؤسسة الرسالة – بيروت، الثانية، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

دار إلى دار"[١]. وقال الطاهر ابن عاشور: "قال كثيرٌ من أئمة اللغة: الموت انعدام الحياة بعد وجودها، ووقوفُ القلب وذهاب الإدراك والإحساس، وعدم اتصاف الجسم بالحياة، سواء أكان متصِفًا بها من قبل ـ كما هو الإطلاق المشهور في العرف ـ أم لم يكن متصِفًا بها، إذا كان من شأنه أن يتصف بها. والحياة ضد الموت، وهي في نظر الشرع نفخ الروح في الجسم، وهي قوة ينشأ عنها الحس والحركة"[٢].

وإذا كان حقيقة الحياة في ملازمة الروح الجسد فالإحياء نفخها، والإماتة نزع تلك الروح وقبضُها. ومن المجاز قولهم: إحياء الأرض الميتة، وأحيا الله البلد الميت. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ ﴾ [فاطر: ٢٢] فالحي هو المسلم والميت هو الكافر. ومنه: استحييت أسيري: أي تركته حيًّا. ووقع في الأرض الحيا وهو المطر، ومنه أميتت الخمر، وماتت النار: خمدت، وماتت الريح: سَكنت، وأخذتْه الموتة: النومة، إلى غير ذلك[٣].

فالإحياء تكوين الحياة في الجسد والإماتة إزالتها، والحياة قوة يكون بها الإدراك، ويستعار الإحياء تبعًا لاستعارة الحياة، مثل حياةِ الأرض بالإنبات، وحياةِ العقل بالعلم وسداد الرأي، وضدها الموت في المعاني الحقيقية والمجازية، ويستعار الإحياء كذلك لبقاء الحياة واستبقائها بدفع العوادي عنها، كقوله تعالى: ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ

---

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تح/ الصادق بن محمد، صـ١١٢ بتصرف، دار المنهاج – الرياض، الأولى، ١٤٢٥هـ.

(٢) التحرير والتنوير، ٣٧٦/١، ٤٧٩/٢، بتصرف، الدار التونسية للنشر ـ تونس، ١٩٨٤هـ. وينظر: الإحياء والإماتة بين الحقيقة والمجاز: دراسة قرآنية بلاغية، رباب صالح محمد، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادي ـ كلية الآداب، ع/٤٧، ٢٠١٧م، صـ٣٩٤ وما بعدها.

(٣) ينظر: اللسان، مادة: (حيا). أساس البلاغة، للزمخشري، تح/ محمد باسل، ٢٢٧/١، ٢٣٢/٢، دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م. المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تح/ صفوان عدنان، صـ٢٦٨، ٢٦٩، دار القلم ـ دمشق، الأولى، ١٤١٢هـ.

﴿ جَمِيعًا ۚ ﴾ [المائدة: ٣٢] وكذلك يستعار الإحياء لما يشبه إحياء الميت، فيعم كل ما يحصل به الكمال من إنارة العقول بالاعتقاد الصحيح والخلق الكريم، والدلالة على الأعمال الصالحة وإصلاح الفرد والمجتمع، وما يتقوم به ذلك من الخلال الشريفة العظيمة، فالشجاعة حياةٌ للنفس، والاستقلالُ حياة، والحريةُ حياة، واستقامةُ أحوال العيش حياة(١).

ويتبين هنا أن الإحياء والإماتة لا يكونان على جهة الحقيقة إلا من الله ﷻ فليس غيرُه يستطيعُهما، وقد قصر فعلَهما عليه سبحانه فقال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ ﴾ [الحج: ٦٦] وقال أيضًا: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [النجم: ٤٤]. ويقال: "أَحْياه اللهُ فَحَيِيَ وحَيَّ، كَقَوْلِهِ: ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝ ﴾ [القيامة: ٤٠]"(٢).

ولا يكونان على جهة الحقيقة إلا إذا تعلقا بنفخ الروح وقبضها؛ فإذا أسندا إلى الله ﷻ وتعلقا بغير ذلك فهُما على المجاز، وإذا أسندا إلى غير الله ﷻ فهما على المجاز قطعًا، إلا ما كان من بعض خلقه بإذنه، كما كان من عيسى ﷺ كقوله: ﴿ وَأُحْۦِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ [آل عمران: ٤٩]. كما أنه لما ثبت أن الإحياء نقيض الإماتة في حقيقتهما فمن المناسب أن الإحياء إذا أُطلق على شيء مجازًا أُطلق الإماتة على ضده والعكس.

(١) التحرير والتنوير ٣١٢/٩، ٣١٣، بتصرف.

(٢) اللسان، مادة: (حيا).

المطلب الأول

إسناد الإحياء والإماتة إلى الله ﷻ بين الحقيقة والمجاز

وردت اللفظتان (الإحياءُ والإماتةُ) ومشتقاتُهما في الصحيحين مسندتين إلى الله ﷻ كثيرًا، وجاءت على سبيل الحقيقة في تلك المواضع غالبًا؛ حيث تعلق الإحياء بنفخ الروح في الأبدان، وتعلقت الإماتة بنزعها منها، وأتى ذلك على سبيل المجاز أحيانًا.

المحور الأول: إسناد الإحياء والإماتة إلى الله ﷻ على الحقيقة

أولاً: ما جاء في بيان عاقبة الكذب على رسول الله ﷺ:

أخرج البخاري عن "**أَنَسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ، وَقَرَأَ البَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَعَادَ نَصْرَانِيًّا، فَكَانَ يَقُولُ: مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلَّا مَا كَتَبْتُ لَهُ، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ فَدَفَنُوهُ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا فَأَلْقَوْهُ، فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعْمَقُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ فَأَلْقَوْهُ، فَحَفَرُوا لَهُ وَأَعْمَقُوا لَهُ فِي الأَرْضِ مَا اسْتَطَاعُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَعَلِمُوا: أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ، فَأَلْقَوْهُ**"(١).

فقوله: (فَأَمَاتَهُ اللَّهُ فَدَفَنُوهُ) لم يُرِدْ به سوى الحقيقة، لقد قُبِضَتْ روحُه، ودليل ذلك قوله: (فدفنوه) والدفن لا يكون حتى تخرج الروح.

ويظهر أن موته عاقبةٌ وجزاءٌ لرِدَّتِه؛ لأنه مرتب على ما قبله بالفاء، التي تأتي للجزاء كثيرًا، ويشهد لهذا رواية الإمام مسلم عن أنس بن مالك قال: "**فَمَا لَبِثَ أَنْ قَصَمَ اللهُ عُنُقَهُ فِيهِمْ**"(٢)، فجاءت الفاء للجزاء أيضًا، وأتى بما يدل على السرعة وعدم الإمهال، فقال (فما لبث) أي ما أبطأ وما تأخر " وَانْتِفَاءُ اللُّبْثِ مُبَالَغَةٌ فِي الْعَجَلِ"(٣). واختار طريق الكناية، فقال: (قَصَمَ اللهُ عُنُقَهُ) كنّى به عن إماتته وإهلاكه؛ إذ إن القَصْمَ: دَقُّ الشَّيْءِ، يُقَالُ لِلظَّالِمِ: قَصَمَ اللَّهُ ظَهْرَهُ، والقَصْمُ: كَسْرُ الشَّيْءِ الشَّدِيدِ حَتَّى يَبين ويتفرق، يقال: قَصَمَه يَقْصِمُهُ قَصْمًا فانْقَصَمَ وتَقَصَّمَ: كسَره كسْرًا فِيهِ بَيْنونة، وَمَعْنَى قَصَمْنَا أَهلكنا وأَذهبنا، وَيُقَالُ: قَصَمَ

---

(١) أخرجه البخاري، ك/ المناقب، ب/ علامات النبوة في الإسلام، رقم: (٣٦١٧) ٢٠٢/٤، ٢٠٣.
(٢) أخرجه مسلم، ك/ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَأَحْكَامِهِمْ، رقم: ١٤ – (٢٧٨١) ٢١٤٥/٤.
(٣) التحرير والتنوير ١١٧/١٢.

اللَّهُ عُمُر الْكَافِر أَي أَذهبه[١]. والكناية هنا اشتملت على ما اشتمل عليه التصريح وزيادة؛ فقوله: **(قَصَمَ اللهُ عُنُقَهُ)** كناية عن الإماتة والإهلاك، زاد فيها معنى الذلة والحقارة والعقاب لهذا الكافر؛ لما بدا منه في حق النبي ﷺ وكذبه عليه.

مقام الحديث ومطابقته ما بوّب عليه البخاريُّ وغيرُه:

ورد هذا الحديث في مقام بيان عاقبة الكافر الكاذب المرتد الْجَدّ بْن قِيسٍ الْمُنَافِق[٢]، وجاء في بعض روايات الحديث "**فَمَاتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَقْبَلُهُ**"[٣]. وهذا يناسب ويعضد ما بوبه البخاري لهذا الحديث، حيث قال: (باب: علامات النبوة في الإسلام) والذي يظهر أن النبي ﷺ أخبر الناس بهذا قبل دفنه، فدفنوه فكان كما قال النبي ﷺ وهذا دليل من أدلة صدق نبوته، وكذب هذا المنافق.

ويظهر مطابقته ما بوب عليه البخاري من وجه آخر "من حَيْثُ ظَهرت معْجزَة النَّبِي ﷺ فِي لفظ الأَرْض إِيَّاه مَرَّات؛ لِأَنَّهُ لما ارْتَدَّ عاقبه الله ـ تَعَالَى ـ بذلك؛ لتقوم الْحجَّة على من يرَاهُ، وَيدل على صدق الشَّارِع"[٤]. وذكر الخطيب التبريزي هذا الحديث في مشكاته في كتاب (الفضائل والشمائل) باب (في المعجزات) وهذا يناسب ما ذكره البخاري وفهمَه من الحديث؛ حيث قال التبريزي: "**وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: إِنَّ رَجُلًا كَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَلَحِقَ بِالْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَقْبَلُهُ) . فَأَخْبَرَنِي أَبُو طَلْحَةَ أَنَّهُ أَتَى الْأَرْضَ الَّتِي مَاتَ فِيهَا فَوَجَدَهُ مَنْبُوذًا، فَقَالَ: مَا شَأْنُ هَذَا؟ فَقَالُوا: دَفَنَّاهُ مِرَارًا فَلَمْ تَقْبَلْهُ الْأَرْضُ**"[٥]. وذكره الإمام مسلم في كتاب (صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَأَحْكَامِهِمْ) ووجه مطابقته للحديث ظاهرة.

---

(١) لسان العرب مادة: (قصم) بتصرف.

(٢) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، ١٧/ ١٢٧.

(٣) السنن الصغير للبيهقي، تح/ عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي ـ باكستان، الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م، ك/ الصلاة، ب/ مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ: (أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ) عَلَى طَرِيقِ الِاخْتِصَارِ، ١/٣٥٦، رقم (١٠١٠).

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، ١٦/١٥٠، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، بدون.

(٥) مشكاة المصابيح، للخطيب التبريزي، تح/ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الثالثة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، ك/ الفضائل والشمائل، ب/ في المعجزات، ٣/١٦٥٥.

ثانيًا: إسنادهما إلى الله ﷻ على جهة الحقيقة في مقام الوعيد والزجر للكافرين:

روى البخاري "**عَنْ خَبَّابٍ، قَالَ: كُنْتُ قَيْنًا فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ لِي عَلَى العَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ، قَالَ: لاَ أُعْطِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَقُلْتُ: لاَ أَكْفُرُ حَتَّى يُمِيتَكَ اللَّهُ، ثُمَّ تُبْعَثَ، قَالَ: دَعْنِي حَتَّى أَمُوتَ وَأُبْعَثَ، فَسَأُوتَى مَالًا وَوَلَدًا فَأَقْضِيكَ، فَنَزَلَتْ: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ ﴾** [مريم: ٧٧، ٧٨]"(١).

لقد علق خَبَّابٌ ـرضي الله عنهـ كفرَه بالنبي ﷺ على موت العاص وبعثِه مرة أخرى، وإن كان يُفهَم منه الاستحالةُ استحالةُ عودة خباب إلى الكفر، وتعليقه ذلك على موت العاص وبعثه، فإن الاستحالة مفهومة من اجتماع الأمرين في ذهن المخاطب؛ إذ إنه ينكر البعث، فاللفظتان على انفرادهما يراد منهما الحقيقة وباجتماعهما تكون الكناية عن صفة حسب اعتقاد المخاطب. ويدل على هذا رواية الترمذي؛ "**فَقُلْتُ: لَا، حَتَّى تَمُوتَ ثُمَّ تُبْعَثَ، قَالَ: وَإِنِّي لَمَيِّتٌ ثُمَّ مَبْعُوثٌ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ**"(٢)، بهذا الاستفهام الذي يراد منه الإنكار والاستبعاد، لكن خبّابًا حمله على الحقيقة، فقال: نعم.

لقد سلك خباب في جواب العاص طريق الكناية، وكان يمكنه التصريح بقصده، فكان يقول: لا أكفر أبدًا، وثمة نكات تكمن خلف هذا التعبير "والعرب تُقْدِم عليها توسعًا واقتدارًا واختصارًا؛ ثقة بفهم المُخَاطَب"(٣)، وفيه التبكيت للمخاطب على كفره، وإنكاره البعث، ويكون ظاهر الأمر في "قوله: حتى تموت ثم تُبعَث، مفهومه أنه يكفر حينئذ، لكنه لم يُرِد ذلك؛ لأن الكفر حينئذ لا يُتَصَّور، فكأنه قال: لا أكفر أبدًا، والنكتة في تعبيره بالبعث تعييرُ العاص بأنه لا يؤمن به، وبهذا التقرير يندفع إيراد من استشكل قوله هذا؛ فقال: علّق الكفرَ، ومن علق الكفرَ

---

(١) البخاري، ك/ البيوع، ب/ ذِكْرِ القَيْنِ وَالحَدَّادِ، رقم: (٢٠١٩) ٣/٦٠، ٦١. "القين: الْحَدَّادُ، لِأَنَّهُ يُصْلِحُ الْأَشْيَاءَ وَيَلُمُّهَا" معجم مقاييس اللغة، مادة: (قين)

(٢) سنن الترمذي، تح/ محمد شاكر وآخرون، أبواب تفسير القرآن، ب/ ومن سورة مريم، ٥/٣١٨، رقم (٣١٦٢) مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر، الثانية، ١٩٧٥م.

(٣) فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي، تح/ عبد الرزاق المهدي، صـ٢٢٢، إحياء التراث العربي، الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

كَفَرَ، وأجيب بأنه خاطبَ العاصَ بما يعتقده، فعلق على ما يستحيل بزعمه"(١).

وواقع الأمر أن للبخاري في هذا الحديث ثلاثَ روايات؛ الأولى: "**فَقُلْتُ: لاَ أَكْفُرُ حَتَّى يُمِيتَكَ اللَّهُ، ثُمَّ تُبْعَثَ**" ببناء (يميتك) للمعلوم، و (تُبعَث) لما لم يسم فاعله. والثانية: "**فقلت: لاَ، وَاللَّهِ لاَ أَكْفُرُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ حَتَّى يُمِيتَكَ اللَّهُ، ثُمَّ يَبْعَثَكَ**"(٢)، بالبناء للمعلوم في كليهما. والثالثة: "**فقلت: لاَ أَكْفُرُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ حَتَّى يُمِيتَكَ اللَّهُ، ثُمَّ يُحْيِيَكَ**"(٣)، بالبناء للمعلوم في كليهما، وجعْلِ (يحييك) موضع (يبعثك).

فحيث بُني الفعل لما لم يُذكر فاعله فإن الفاعل معلوم؛ فلا فاعل له إلا الله ﷻ وحيث بُني الفعل للمعلوم ففيه زيادة زجر للمخاطب، وهذا الغرض مستفاد أيضًا من استخدام الفعل (يبعثك) فإن الأمر لا يقف عند جعل الروح في الجسد يوم القيامة –دليلاً على قدرة الله سبحانه– بل إنه يتعدى ذلك إلى البعث والنشور والحساب، وهذا ما يدعو العاصَ إلى الوفاء بالدَّين ـ لو عقِل ـ وبهذا يظهر فارق بين الإحياء والبعث؛ فإن الإحياء من ضروريات البعث، فلا يكون بعث حتى يكون إحياء.

قال الراغب الأصفهاني: "أصل البَعْث: إثارة الشيء وتوجيهه، يقال: بَعَثْتُهُ فَانْبَعَثَ، ويختلف البعث بحسب اختلاف ما علّق به، فَبَعَثْتُ البعير: أثرته وسيّرته، وقوله ﷻ: ﴿ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام: ٣٦] أي: يخرجهم ويُسَيِّرُهم إلى القيامة"(٤). وقال أبو هلال العسكري: "بَعْثُ الخلقِ اسم لإخراجهم من قبورهم إلى الموقف، ومنه قوله ﷻ ﴿ مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ [يس: ٥٢] والنشور اسم لظهور المبعوثين، وظهور أعمالهم للخلائق، ومنه قولك: نشرتُ اسمك، ونُشِرت فضيلةُ فلان"(٥).

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ٨/٤٣٠.

(٢) البخاري، ك/ الخصومات، ب/ التقاضي، رقم (٢٤٢٥) ٣/١٢٣.

(٣) البخاري، ك/ تفسير القرآن، ب/ بَابُ قَوْلِهِ: ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ ﴾ رقم (٤٧٣٣) ٦/٩٤.

(٤) المفردات في غريب القرآن، صـ١٣٢.

(٥) الفروق اللغوية، تح/ عماد البارودي، صـ٢٨٤، ٢٨٥، دار التوفيقية للتراث، ٢٠١٠م.

ثالثًا: ما جاء في مقام بيان منزلة الشهداء، وتمنّي الشهادة:

روى البخاري عن "**أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنَّ رِجَالًا مِنَ المُؤْمِنِينَ لاَ تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَلاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ**"(١).

فالنبي لم يقعد عن جهاد خوفًا من قتل أو إصابة، بيد أنه خاف أن يشق على الضعفاء من أمته؛ فلو خرج لجهاد شق عليهم أن يتخلفوا عنه، ثم بيَّن أن منزلة الشهداء عظيمة؛ فقد تمنى الشهادة لنفسه مرات عديدة؛ لفضلها ولمنزلة الشهداء عند ربهم، فقال: **(لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ)** معبّرًا بالمضارع المبنيّ لما لم يذكر فاعله، وأراد بهذين اللفظين الحقيقة، فهو يتمنى القتل شهيدًا على الحقيقة، وبنى الفعل للمجهول لكمال العناية بالفعل ذاتِه، فالاستشهاد في سبيل الله ﷻ هو الغاية، دون العناية بالقاتل. ثم يتمنى الإحياء على الحقيقة، بأن تُرَدّ إليه الروحُ بعد قبضها، وبَنَى الفعلَ هنا لما لم يذكر فاعله للعلم بالفاعل؛ إذ لو بُنِيَ الفعلُ للمعلوم فلن يكون إلا اللهُ ﷻ له فاعلاً.

وجاء في بعض روايات الحديث عند البخاري قال النبي ﷺ: "**وَلَوَدِدْتُ أَنِّي قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقُتِلْتُ، ثُمَّ أُحْيِيتُ ثُمَّ قُتِلْتُ، ثُمَّ أُحْيِيتُ**"(٢). فعبر بالماضي عن المستقبل، وهذا يدل على شدة شغفه وتمنيه ذلك، حتى صار كأنه حَدَثَ يقينًا، وقد أخبر عنه.

بين المقسم به والمقسم عليه:

لقد أكد تلك الأماني بالقسم، فقال: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ) ولهذا القسم منزلة عالية في بيانه ﷺ فقد روى أبو داود في سننه "**عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اجْتَهَدَ فِي الْيَمِينِ، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي الْقَاسِمِ بِيَدِهِ**"(٣). فنفْس النبي ﷺ وروحه وموته وحياته بيد ربه ـ سبحانه ـ وتحت إرادته وتصرفه، وهنا تظهر مناسبة هذا القسم لهذه الأماني جميعها؛

---

(١) البخاري، ك/ الجهاد والسير، ب/ تمني الشهادة، رقم (٢٧٩٧) ١٧/٤. وينظر: صحيح البخاري حديث رقم (٣٦، ٢٩٧٥، ٧٢٢٦، ٧٢٢٧) صحيح مسلم حديث رقم (١٨٧٦)

(٢) البخاري، ك/ الجهاد والسير، ب/ الجَعَائِلِ وَالحُمْلاَنِ فِي السَّبِيلِ، رقم (٢٩٧٥) ٥٣/٤.

(٣) سنن أبي داود، ك/ الْأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ، ب/ مَا جَاءَ فِي يَمِينِ النَّبِيِّ ﷺ مَا كَانَتْ، رقم (٣٢٦٤) ٢٢٥/٣، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، د ـ ت.

فالذي بيده أمره هو الذي يمنحه حياة بعد موت؛ حتى يُقتلَ في سبيله مرات ومرات، يعلو بها درجاته في الآخرة. وفي هذا الحديث كرر الإحياء ثلاثًا، والقتل أربعًا، وليس التكرار للتوكيد، لأن التكرار لأجل التوكيد تكون الثانيةُ عينَ الأولى وكذلك الثالثة والرابعة، وليس هذا مرادًا، بل الثانية مغايِرةٌ الأولى وكذلك الثالثة والرابعة. وبدأ بالقتل لأنه كان حيًّا، وختم به لأنه نهاية كل حيٍّ سوى الله ﷻ فتحصل الشهادة له أربعَ مرات، وفي بعض روايات الحديث ذكرها ثلاثًا(١)، ويبدو أن العدد ليس مرادًا، بل المراد التكثير دون التقييد بعدد.

والبيان النبوي هنا في أعلى درجات الإيجاز؛ فالأصل أن يكون الغزو أولاً، ثم القتل، ثم الإحياء، فطوى الغزو كما في رواية الإمام البخاري، وذُكِرَ في رواية الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال: "**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ**"(٢)، فذكر الغزو وطوى الإحياء؛ فإذا ضُمّ إلى ذلك بناءُ تلك الأفعال للمجهول ـ كما بيّنَه البحث آنفًا ـ رأى المتلقي أنها سرعة متلاحقة بين وقوع الشهادة بعد الشهادة، وهذا مفاد من الإيجاز والحذف، ويبقى القتل حاضرًا في تلك الروايات جميعها؛ لأنه لا تكون الشهادة إلا به، ولا يكون إحياء إلا بعده، فالقتل واسطة العقد، ولا يفهم المعنى بدونه.

جاءت روايات الإمام البخاري معطوفًا بين القتل والإحياء بحرف العطف (ثم) بيد أن رواية الإمام مسلم تنوعت فيها أدوات العطف، والشهادة قد وقعت في تلك الرواية ثلاث مرات، فرق بينها بحرف العطف (ثم) نظرًا لطول المدة الزمنية بين غزوة وأخرى، لكن المدة الزمنية بين دخول المعركة وتحقق الشهادة لا تطول مدتها كما بين غزوة وأخرى، فناسب ذلك الإتيان بحرف العطف (الفاء) التي تفيد التعقيب وتوالي الأحداث سريعًا.

وأتى التعبير في تلك الروايات جميعِها بالقتل دون الموت؛ فلم يقل النبي ﷺ: لوددت أني أموت ثم أُحيا، ثم أموت ثم أحيا، وهكذا؛ والسبب في ذلك أن القتل لا يكون إلا بالضرب والطعن من أعدائه، أما الموت فإنه قد يكون بلا طعن، ولا شك أن الأول أعلى منزلة، قال العسكري: "الْمَوْت يَنْفِي الْحَيَاة مَعَ سَلامَة البنية، وَلَا بُد فِي الْقَتْل من انْتِقَاض البنية، وَيُقَال لمن حبس الْإِنْسَان حَتَّى يَمُوت: إِنَّه قَتله، ولم يكن بِقَاتِل فِي الْحَقِيقَة؛ لِأَنَّهُ لم ينْقض البنية"(٣).

---

(١) ينظر: صحيح البخاري حديث رقم (٣٦، ٧٢٢٧)

(٢) أخرجه مسلم، ك/ الإمارة، ب/ فَضْلِ الْجِهَادِ وَالْخُرُوجِ فِي سَبِيلِ اللهِ، رقم ١٠٣ – (١٨٧٦) ٣/١٤٩٥.

(٣) الفروق اللغوية، صـ١٠٦.

رابعًا: ما جاء في براءة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- من الشك في قدرة الله -عز وجل- على إحياء الموتى:

ورد في حديث الإمام مسلم عن "**أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام إِذْ قَالَ: ﴿ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ ﴾ [البقرة: ٢٦٠] قَالَ: وَيَرْحَمُ اللهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ لَبْثِ يُوسُفَ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ**"(١).

إن إبراهيم -عليه السلام- لم يشكّ في إحياء الله الموتى، ولما قال: **﴿ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ ﴾** قد يتبادر إلى الأذهان أنه شك في ذلك، فبرأه النبي -ﷺ- فقال: **(نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ)** وجاء عن "جماعات من العلماء معناه أن الشك مستحيل في حق إبراهيم -عليه السلام- فإن الشك في إحياء الموتى لو كان متطرقًا إلى الأنبياء لكنت أنا أحقَّ به من إبراهيم -عليه السلام- وقد علمتم أني لم أشك، فاعلموا أن إبراهيم -عليه السلام- لم يشك"(٢). ومما يؤكد نفي الشك عن إبراهيم -عليه السلام- طلب رؤية الكيفية التي يتم بها الإحياء، معلنًا الإيمان بالإحياء والبعث، حين سأله ربه -عز وجل-: **﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ ﴾**.

وقول إبراهيم -عليه السلام-: **﴿ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ ﴾** أراد بالإحياء الحقيقة، فهو يريد أن يرى عودة الأرواح إلى الأجساد بعدما نُزعت منها رأي عين، "فإن إبراهيم لفرط محبته الوصولَ إلى مرتبة المعاينة في دليل البعث رام الانتقال من العلم النظري البرهاني، إلى العلم الضروري، فسأل الله أن يُرِيَهُ إحياء الموتى بالمحسوس"(٣). وقد ورد هذا الحديث عند الإمام مسلم في (كتاب الإيمان، باب زِيَادَة طُمَأْنِينَةِ الْقَلْبِ بِتَظَاهُرِ الْأَدِلَّةِ) وقد ناسب البابُ مقام الحديث؛ من حيث إن سُؤْلَه لم يكن شكًّا، بل كان طُمأنينةً لقلبه.

---

(١) أخرجه مسلم، ك/ الإيمان، ب/ زِيَادَة طُمَأْنِينَةِ الْقَلْبِ بِتَظَاهُرِ الْأَدِلَّةِ، رقم ٢٣٨ – (١٥١) ١٣٣/١. وينظر: صحيح البخاري حديث رقم (٣٣٧٢، ٤٥٣٧). صحيح مسلم، حديث رقم: ١٥٢ – (١٥١).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، ١٨٣/٢.

(٣) التحرير والتنوير ٣٨/٣.

خامسًا: ما جاء في الصحيحين أن الله ﷻ يُميت ناسًا من أهل النار:

روى الإمام مسلم "**عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**"(١).

إن الله ﷻ أمات العصاة من الموحدين في النار، واختلفت أقوال أهل العلم في هذه الإماتة على قولين "**الأول**: أن هذه الإماتةَ إماتةٌ حقيقية، يذهب معها الإحساس، فهم محبوسون في النار من غير إحساس المدة التي قدرها الله ﷻ ثم يخرجون من النار موتى، قد صاروا فحمًا فيُحملون ضبائرَ، كما تُحمل الأمتعةُ، ويُلقَون على أنهار الجنة، فيُصَبّ عليهم ماء الحياة، فيحيَون وينبتون نبات الحبة في حميل السيل. **والآخر**: أن إماتتهم ليست بموت حقيقي، بل هم نائمون، يغيب عنهم إحساسهم بالآلام، ويجوز أن تكون آلامهم أخف"(٢).

والأَولى - والله أعلم - أن يكون المرادُ هنا بالإماتة الحقيقةَ لا المجاز؛ ذلك لأن البيان النبوي أكد الإماتة بالمصدر؛ فقال: (فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً) ثم جعل عودتهم إلى الحياة مرة أخرى كنبات الحبة في حميل السيل، وهذا إنما يكون في البعث بعد الموت، قال الله تعالى: ﴿ **وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩** ﴾ [فاطر: ٩]. ثم إن البيان النبوي أخبر عن حال أهل النار الذين هم أهلها فقال: (**لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ**) وهذا كالمفاد من قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝٧٤** ﴾ [طه: ٧٤] والمعنى أن الكافر في النار "لَا يَنْتَفِعُ بِحَيَاتِهِ وَلَا يَسْتَرِيحُ بِمَوْتِهِ ... وَقِيلَ: نَفْسُ الكافر معلقة في حنجرته أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَلَا يَمُوتُ بِفِرَاقِهَا، ولا يحيا باستقرارها"(٣).

---

(١) أخرجه مسلم، ك/ الإيمان، ب/ إِثْبَات الشَّفَاعَةِ وَإِخْرَاج الْمُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ، رقم: ٣٠٦ – (١٨٥) ١٧٢/١. ضبائر: جماعات في تفرقة. فَبُثُّوا: فُرِّقُوا. حميل السيل: مَا جَاءَ بِهِ من طين. ينظر: شرح النووي ٣٨/٣.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، ٣٨/٣، بتصرف.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تح/ أحمد البردوني، ٢٢٧/١١، بحذف، دار الكتب المصرية - القاهرة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م. وينظر: شرح النووي ٣٨/٣.

المحور الثاني: إسناد الإحياء والإماتة إلى الله ﷻ على المجاز

لم يرد الإحياء والإماتة مسندين إلى الله في الصحيحين على سبيل المجاز إلا ما ورد في حال النوم واليقظة بعده، وقد روى الإمامان البخاري ومسلم سبعةَ أحاديثَ في الإحياء والإماتة حال النوم واليقظة، ومن ذلك ما رواه الإمام البخاري "**عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، قَالَ: بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا، وَإِذَا قَامَ قَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**"(١).

فاليقظة بعد النوم إحياء بعد الممات، قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الأنعام: ٦٠] وقال أيضًا: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الزمر: ٤٢] فالله ﷻ يتوفى الأنفس حين الموت وحين النوم، فيمسك الأولى ويرسل الأخرى، وفي صحيح الإمام البخاري "**عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سِرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً، فَقَالَ: بَعْضُ القَوْمِ: لَوْ عَرَّسْتَ بِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَخَافُ أَنْ تَنَامُوا عَنِ الصَّلاَةِ، قَالَ بِلاَلٌ: أَنَا أُوقِظُكُمْ، فَاضْطَجَعُوا، وَأَسْنَدَ بِلاَلٌ ظَهْرَهُ إِلَى رَاحِلَتِهِ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ فَنَامَ، فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ طَلَعَ حَاجِبُ الشَّمْسِ، فَقَالَ: يَا بِلاَلُ، أَيْنَ مَا قُلْتَ؟ قَالَ: مَا أُلْقِيَتْ عَلَيَّ نَوْمَةٌ مِثْلُهَا قَطُّ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ، وَرَدَّهَا عَلَيْكُمْ حِينَ شَاءَ، يَا بِلاَلُ، قُمْ فَأَذِّنْ بِالنَّاسِ بِالصَّلاَةِ فَتَوَضَّأَ، فَلَمَّا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ وَابْيَاضَّتْ، قَامَ فَصَلَّى**"(٢).

فالله يقبض الأرواح عند النوم، ويردها عند الاستيقاظ، فهل النوم إماتة واليقظة إحياء على

---

(١) أخرجه البخاري، ك/ الدعوات، ب/ مَا يَقُولُ إِذَا نَامَ، رقم: (٦٣١٢) ٦٩/٨. وينظر: صحيح البخاري ٧٣٩٤، ٦٣١٤، ٦٣٢٤، ٦٣٢٥، وصحيح مسلم ٥٩ – (٢٧١١)، ٦٠ – (٢٧١٢).

(٢) أخرجه البخاري، ك/ مواقيت الصلاة، ب/ الأَذَانِ بَعْدَ ذَهَابِ الوَقْتِ، رقم: (٥٩٥) ١٢٢/١. (عرست) من التعريس وهو النزول في السفر آخر الليل للاستراحة والنوم. (ابياضت) صفت واشتد بياضها وهو كناية عن تأخيرهم عن طلوعها كثيرا.

الحقيقة؟ أم أن البيان النبوي استعار الإحياء لليقظة، والإماتة للنوم؟ والجواب: إن ظاهر تلك النصوص يدل على أن الموت والنوم كليهما قبضٌ للأرواح، قال ابن رجب: "دلت الآية على أن النوم وفاة، ودل الحديث على أن النوم قبض، ودلَّا على أن النفس المتوفاة هي الروح المقبوضة ... وفي الآية والحديث: دليل على أن قبض الأرواح من الأبدان لا يشترط له مفارقتها للبدن بالكلية، بل قد تقبض ويبقى لها به منه نوعُ اتصالٍ كالنائم"(١).

ومن أهل العلم مَن فرق بين نفْسٍ تُقبض عند النوم، ونفسٍ أخرى تُقبض عند الموت "قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ: النَّفْسُ الَّتِي تُفَارِقُ الْإِنْسَانَ عِنْدَ النَّوْمِ هِيَ الَّتِي لِلتَّمْيِيزِ، وَالَّتِي تُفَارِقُهُ عِنْدَ الْمَوْتِ هِيَ الَّتِي لِلْحَيَاةِ، وَهِيَ الَّتِي يَزُولُ مَعَهَا التَّنَفُّسُ، وَسُمِّيَ النَّوْمُ مَوْتًا لِأَنَّهُ يَزُولُ مَعَهُ الْعَقْلُ وَالْحَرَكَةُ تَمْثِيلًا وَتَشْبِيهًا"(٢). وعليه فإنه يبقى فارق بين النوم والموت، فإنه حال النوم لا يزال "الجسد يقوم بوظائفِ الحياة حين تكون النفْس فيه، أما حين تخرج منه النفس، فإن تلك الوظائفِ تتوقف، أو تتغير، والنوم شيء من جنس الموت، حين يحُل بالجسم يؤدي إلى إخلائه إخلاء مؤقتًا من النفْس، وبذلك يظل الارتباط بين الجسم والنفس مستمرًا، ولا ينقطع إلا بالموت"(٣).

فالنوم والموت يجمعهما انقطاع تعلق الروح بالبدن، فإن كان هذا الانقطاع ظاهرًا كان النوم، وإن كان باطنًا كان الموت، وإطلاق الموت على النوم مجاز لاشتراكهما في السكون والرقاد، والحكمة في إطلاق الموت على النوم أن انتفاع الإنسان بالحياة إنما هو لتحري رضا الله عنه، وقصْدِ طاعته، واجتنابِ سخطه وعقابه، فمن نام زال عنه هذا الانتفاعُ فكان كالميت(٤).

ولعل النومَ درجة من درجات الوفاة، والموتَ درجة من درجاتها أيضًا، والنوم والموت يصدُق عليهما نزع الروح، لكنهما يفترقان في قدر هذا النزع وقوته، ويكون إطلاق الإماتة على النوم مجازًا، والإحياء على الاستيقاظ مجازًا كذلك، ففي كليهما استعارة تبعية واقعة في الفعل

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب، تح/ محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، ١٠٤/٥، ١٠٥ بحذف، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية، الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ١١٤/١١.

(٣) الإحياء والإماتة في القرآن الكريم دراسة معجمية موضوعية، عبد المجيد بن محمد الغيلي، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، منشور على موقع المؤلف: رحى الحرف، صـ١٥٥ بتصرف.

(٤) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١١٤/١١.

"فالفعل لا يُتصوَّر فيه أن يتناول ذاتَ شيء، كما يتصور في الاسم، ولكن شأن الفعل أن يُثبت المعنى الذي اشتُقَّ منه للشيء في الزمان الذي تدل صيغته عليه، ... فإذا استعير الفعل لما ليس له في الأصل، فإنه يُثبتُ باستعارته له وصفًا هو شبيه بالمعنى الذي ذلك الفعل مشتق منه"(١).

وهي استعارة تصريحية في الوقت ذاته، توحي بقوة المشابهة بين الإماتة والنوم، وبين الإحياء والاستيقاظ؛ لبيان مقدار منَّةِ الله ﷻ ونعمته على الناس، والبيان الكريم أطلق الإحياء على الاستيقاظ مصرحًا بذلك، ومن أبين الدلالة إطلاق ضده على النوم، وقد صرح بذلك أيضًا ـ ولو سكت عنه لفُهم من طيات النص ـ وهذا من أوثق العرى للترابط والتلاحم والاتساق بين أجزاء النص، والله أعلم.

وفي صحيح الإمام مسلم عن "**عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ أَمَرَ رَجُلًا، إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ قَالَ: اللهُمَّ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا، وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَسَمِعْتَ هَذَا مِنْ عُمَرَ؟ فَقَالَ: مِنْ خَيْرٍ مِنْ عُمَرَ، مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ**"(٢). ومعنى قوله: (لك مماتها ومحياها) أي أنت المالك لإحيائها ولإماتتها أيّ وَقت شِئْت، ولا مالك لهما غيرك (فإن أحييتها فاحفظها) أي صنها عن فعل المحرمات (وإن أمتها فاغفر لها) ما اقترفته من الذنوب؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت(٣).

قوله: (لك مماتها ومحياتها) تحتمل المجاز؛ على استعارة الممات للنوم والمحيى لليقظة، والسياق الزماني يرجح المجاز، فقد قالها عند أخْذ مضجعِه، وقدَّم الممات على المحيى لإرادة النوم أولاً، ويمكن حملها على الحقيقة، فالله ﷻ يقبضها ويحييها متى شاء. وقوله: (أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا) أراد بها اليقظة، فاستعار الإحياء للاستيقاظ من النوم، كما مرّ. وقوله: (وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا) هي على الحقيقة، ويكون المعنى: إن قدَّرتَ لي اليقظةَ بعد نومي

---

(١) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه/ محمود محمد شاكر، صـ٥١، بحذف، دار المدني بجدة، الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

(٢) أخرجه مسلم، ك/ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، ب/ مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ، رقم: ٦٠ – (٢٧١٢) ٢٠٨٣/٤.

(٣) ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، محمد عبد الرؤوف المناوي، ١٥٥/٢، المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر، الأولى، ١٣٥٦هـ.

هذا فاحفظ نفسي من الشرور والذنوب والمعاصي، وإن كتبت عليها الموت في نومها فاغفر لها ما مضى.

وفي صحيح البخاري "**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ فِرَاشَهُ فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ ثَوْبِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَلْيَقُلْ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ**"(١). فيه ذات المعنى الذي اشتمل عليه الحديث السابق، "وفيه استسلام لله وإقرار له بالإحياء والإماتة"(٢)، وهذا يوافق ما بوبه البخاري لهذا الحديث؛ فقد جاء في كتاب (التوحيد) باب (السُّؤَالِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالِاسْتِعَاذَةِ بِهَا).

قَوْله: (إِن أَمْسَكت نَفسِي فارحمها) الْإِمْسَاك كِنَايَة عَن الْمَوْت، أي: قبضت روحي في النوم فَلذَلِك قَالَ: فارحمها، أي: بالمغفرة والتجاوز عنها، قَوْله: (وَإِن أرسلتها) بأن رددت الحياة إلي وأيقظتني من النوم، من الْإِرْسَال وَهُوَ كِنَايَة عَن الْبَقَاء فِي الدُّنْيَا، وَذكر الْحِفْظ يُنَاسِبه(٣).

ويظهر تأثر النبي ﷺ الكريم بما جاء في قول الله تعالى:﴿ **ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾** ﴾ [الزمر: ٤٢]. وبهذا يكون الكناية بالإمساك والإرسال مطابقًا لما جاء في البيان المعجز، بما يضمن له البيان والإفهام للمخاطبين؛ من حيث تتطلب الكناية من المرسل أن يُحسن اختيار الصفات التي يُكنِّي بها، فلا بد أن يكون للمنطوق الكنائي مزيدُ اختصاص بالمعنى المراد، فليست كلُّ كناية عن معنى تصلح لكل مقام كنايةً عن ذلك المعنى(٤).

---

(١) أخرجه البخاري، ك/ التوحيد، ب/ السُّؤَالِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالِاسْتِعَاذَةِ بِهَا، رقم: (٧٣٩٣) ١١٩/٩.

(٢) شرح صحيح البخارى، لابن بطال، تح/ ياسر إبراهيم، ٨٨/١٠، مكتبة الرشد ـ الرياض، الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

(٣) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٢٩٠/٢٢. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن الهروي، ١٦٥٣/٤، دار الفكر ـ بيروت، الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

(٤) ينظر: بنية الكناية: دراسة في شبكة العلاقات الدلالية، جاسم سليمان الفهيد، صـ١٣١، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ـ جامعة الكويت، مج/ ٢٢، ع/٨٨، ٢٠٠٤م.

المطلب الثاني

إسناد الإحياء والإماتة إلى غير الله ﷻ بين الحقيقة والمجاز

قد يُسند الإحياء إلى غير الله ﷻ ويراد به الحقيقة ـ بمعنى نفخ الروح ـ كالذي كان من نبي الله عيسى ـ عليه السلام ـ كان يحيي الموتى بإذن الله ﷻ تأييدًا له في دعوته، أو يكون ذلك على الحقيقة فتنة واختبارًا، كالذي يظهر على يد الدجال. لكن إسناد الإحياء والإماتة إلى غير الله ﷻ أكثر ما يكون على سبيل المجاز.

المحور الأول: إسناد الإحياء إلى غير الله ﷻ على الحقيقة

أُسند الإحياء وأريد به الحقيقة في الصحيحين في خبر الدجال، وما جاء في تَوَعُّد المصورين.

أولاً: ما جاء في خبر الدجال

ثبت إسناد الإحياء إلي الدجال على الحقيقة في أربعة أحاديث في الصحيحين، منها ما رواه الإمام البخاري أن "**أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ ﷺ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا طَوِيلًا عَنِ الدَّجَّالِ، فَكَانَ فِيمَا حَدَّثَنَا بِهِ أَنْ قَالَ: يَأْتِي الدَّجَّالُ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ المَدِينَةِ، بَعْضَ السِّبَاخِ الَّتِي بِالْمَدِينَةِ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ، أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ، فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ، الَّذِي حَدَّثَنَا عَنْكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا، ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ هَلْ تَشُكُّونَ فِي الأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لاَ، فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ حِينَ يُحْيِيهِ: وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي اليَوْمَ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَقْتُلُهُ فَلاَ أُسَلَّطُ عَلَيْهِ**"(١).

لقد حُرِّم على الدجال أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ ـ جَمْعُ نَقْبٍ وَهُوَ الطَّرِيقُ ـ فَيَنْزِلُ الدَّجَّالُ فِي بَعْضِ الْأَرَاضِي السَّبِخَةِ، وَهِيَ ذَاتُ مِلْحٍ لَا تُنْبِتُ، الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ، أَيْ: تَقْرُبُهَا، فيخرج إليه رجل هو خير الناس، فيقول: أشهد إنك الدجال، فيقول: إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون أني ربكم؟ فيقول أتباعه أو المنافقون ومَن هم على غير الإسلام: لا، أو يقولها المسلمون مداراة ومخافة منه، فيقتله ثم يحييه، فيقوم من مرقده قائلاً: وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي اليَوْمَ(٢).

---

(١) أخرجه البخاري، ك/ الحج، ب/ لاَ يَدْخُلُ الدَّجَّالُ المَدِينَةَ، رقم (١٨٨٢) ٢٢/٣. وينظر: البخاري (٧١٣٢) ومسلم ١١٣ – (٢٩٣٨)، ١١٢ – (٢٩٣٨).

(٢) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ٩٦/٤، ١٠٢/١٣.

إنّ قتْل الدجال هذا الرجل قتلٌ على الحقيقة، ثم يحييه إحياء على الحقيقة، ودليل ذلك ما ورد في صفة هذا القتل في صحيح الإمام مسلم "**قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُؤْشَرُ بِالْمِئْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، قَالَ: ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ، فَيَسْتَوِي قَائِمًا**"(١).

قال الخطابي: "وقد يُسأل عن هذا، فيُقال: كيف يجوز أن يُجري الله ـ تعالى ـ آياتِه على أيدي أعدائه؟ وإحياء الموتى آية عظيمة من آيات أنبيائه، فكيف مَكَّن منه الدَّجَّال، وهو كذّاب مفترٍ على الله يدعي الربوبية لنفسه؟ **فالجواب:** إن هذا جائز على سبيل الامتحان لعباده إذا كان منه ما يدل على أنه مُبطلٌ، غيرُ مُحِقٍّ في دعواه، وهو أن الدَّجَّال أعورُ عين اليمنى، مكتوبٌ على جبهته كافر، يقرأه كل مسلم، فدعواه داحضة مع وسم الكفر ونقص العَوَر الشاهدَين بأنه لو كان ربًّا لقدر على رفع العَوَر عن عينه ومحو السِّمة عن وجهه، وآيات الأنبياء التي أُعطوها الأنبياء بريئة عما يعارضها ونقائضها، فلا يشتبهان بحمد الله"(٢). وقد دل على كذب الدجال من خلال هذه الروايات أمران يضافان إلى ما سبق، أولهما: أنه قال: **(أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا، ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ هَلْ تَشُكُّونَ فِي الأَمْرِ؟)** ولو كان ربًّا كما زعم لقال: أرأيت إن أَمَتُّ هذا ثم أحييته؟ ولكان عليه أن ينزع روح هذا الرجل مع سلامة البنية، لكنه لما أقدم على قتله بدا كذبه.

وآخرهما: أنه لو صدق في زعمه لكانت الإماتة والإحياء صفةً ثابتةً في حقه، وهذا لم يكن؛ لأنه لا يستطيع أن يفعل القتل والإحياء غير مرة واحدة، ففي رواية الإمام مسلم أن الرجل لما استوى قائمًا قال له الدجال "**أَتُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلَّا بَصِيرَةً، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ،**

---

(١) أخرجه مسلم ك/ الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، ب/ فِي صِفَةِ الدَّجَّالِ، وَتَحْرِيمِ الْمَدِينَةِ عَلَيْهِ وَقَتْلِهِ الْمُؤْمِنَ وَإِحْيَائِهِ، رقم: ١١٣ – (٢٩٣٨) ٢٢٥٦/٤. (فيؤشر بالمئشار) هكذا الرواية بالهمزة فيهما، وهو الأفصح، ويجوز تخفيف الهمزة فيهما، فتجعل في الأول واوًا، وفي الثاني ياء، ويجوز المنشار بالنون، يقال: نشرت الخشبة، وعلى الأول يقال أشرتها. ينظر: حاشية المحقق.

(٢) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، للخطابي، تح/ د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، ٢٣٣١/٤، جامعة أم القرى، مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، الأولى، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

فَيُجْعَل مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ نُحَاسًا، فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ"(١).

ثانيًا: ما جاء في شأن المصورين وتوَعُّدِهم

ورد في الصحيحين عشرةُ أحاديث يأمرهم الله ﷻ بإحياء ما صوّروه، ومن هذا ما رواه الإمام البخاري عن "**عَبْد اللَّهِ بْن عُمَرَ -رضي الله عنهما- أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**"(٢).

ففي هذا البيان الكريم زجر وترهيب لأولئك المصورين، الذين يصنعون بأيديهم أجسادًا تشبه خلق الله ﷻ والله يأمرهم يوم القيامة بإحياء ما صنعوا، وهذا أمر وإن فُهم منه معنى التعجيز، إلا أن فيه استعمالاً لمادة الإحياء على حقيقتها، بحيث إنه لو كان لم يكن إلا نفخَ الروح في المصوَّر، فإذا عجز المصوِّرون عن ذلك ـ وهم عاجزون لا شك ـ ازداد جزعُهم.

إن الأمر في قوله: (أحيوا ما خلقتم) أمرُ تعجيز، وهذا العجز صورة من صور التعذيب، وهو أن يكلَّف المصوِّر بنفخ الروح في الصورة التي صورها، فتصير حيوانًا ذا روح، وهو لا يقدر على ذلك، فيستمر تعذيبُه، كما جاء الأمر بصيغته المباشرة دليلاً على شدة الأمر وهول المأمور به، ثم إنه إنما نسَب خلقَها إليهم تقريعًا لهم بمضاهاتهم الله ـ تعالى ـ في خلقه، فبكَّتهم؛ بأن قال: إذا شابهتم بما صورتم مخلوقات الله ـ تعالى ـ فأحيوها كما أحيا هو مَن خلَق. أو يكون هذا على سبيل الاستهزاء بهم، أو ضُمّن (خلقتم) معنى صورتم، تشبيها بالخلق، أو أطلقه بناء على زعمهم فيه(٣).

---

(١) أخرجه مسلم ك/ الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، ب/ فِي صِفَةِ الدَّجَّالِ، وَتَحْرِيمِ الْمَدِينَةِ عَلَيْهِ وَقَتْلِهِ الْمُؤْمِنَ وَإِحْيَائِهِ، رقم: ١١٣ – (٢٩٣٨) ٢٢٥٦/٤. (مفرقه) مفرق الرأس وسطه (ترقوته) هي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق. ينظر: حاشية المحقق.

(٢) أخرجه البخاري، ك/ اللباس، ب/ عَذَابِ المُصَوِّرِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ، رقم (٥٩٥١) ١٦٧/٧. وينظر: صحيح البخاري رقم: (٢١٠٥، ٣٢٢٤، ٥١٨١، ٥٩٥٧، ٥٩٦١، ٧٥٥٧، ٧٥٥٨) وصحيح مسلم: ٩٦ – (٢١٠٧)، ٩٧ – (٢١٠٨).

(٣) ينظر: فتح الباري، ابن حجر ٣٨٤/١٠، ٣٩٤، ٥٣٢/١٣، ٥٣٥. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٩١/١٤.

المحور الثاني: إسناد الإحياء والإماتة إلى غير الله ﷻ على المجاز

لم يُذكر الإحياء في البيان النبوي في الصحيحين مسندًا إلى غيره ـ سبحانه ـ إلا أريد به المجاز ـ سوى ما ذُكر في شأن الدجال والمصوِّرين ـ أما المجاز فقد حاز على أكثر إسنادات الإحياء والإماتة إلى غير الله ﷻ في الصحيحين، وفيما يأتي بيانها:

أولاً: إحياء الليل:

ورد (إحياء الليل) في الصحيحين في بيان حال النبي ﷺ بالليل، فقد روى الإمام البخاري "**عَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ**"(١).

وعند الإمام مسلم "**عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَأَلْتُ الْأَسْوَدَ بْنَ يَزِيدَ عَمَّا حَدَّثَتْهُ عَائِشَةُ، عَنْ صَلَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَتْ: كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَيُحْيِي آخِرَهُ، ثُمَّ إِنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى أَهْلِهِ قَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ يَنَامُ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ النِّدَاءِ الْأَوَّلِ، قَالَتْ: وَثَبَ ـ وَلَا وَاللهِ مَا قَالَتْ قَامَ ـ فَأَفَاضَ عَلَيْهِ الْمَاءَ ـ وَلَا وَاللهِ مَا قَالَتِ اغْتَسَلَ، وَأَنَا أَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ـ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ جُنُبًا تَوَضَّأَ وُضُوءَ الرَّجُلِ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ صَلَّى الرَّكْعَتَيْنِ**"(٢).

فالنبي ﷺ يجتهد في العبادة في العشر الأواخر من رمضان، فليلة القدر إحدى ليليها، وكان من مظاهر هذا الاجتهاد ما جاء في حديث أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ حيث قالت: **(شد مئزره)** والمئزَرُ: الإزار، وتلك كناية أَراد بها تَشْمِيرَهُ لِلْعِبَادَةِ، كما يُقَالُ: شَدَدْتُ لِهَذَا الأَمر مِئْزَرِي أَي تَشَمَّرْتُ لَهُ. وقيل: هو كناية عن اعتزال النساء، ومما يؤكد هذا المعنى "أنها قالت: جد وشد المئزر ـ كما في رواية مسلم ـ فعطفتْ شد المئزر على الجد، والعطف يقتضي التغاير، والصحيح أن المراد به اعتزاله للنساء، وبذلك فسره السلف والأئمة المتقدمون"(٣).

---

(١) أخرجه البخاري، ك/ صلاة التراويح، العَمَل فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، رقم: (٢٠٢٤) ٤٧/٣. ورواه مسلم ٧ ـ (١١٧٤).

(٢) صحيح مسلم، ك/ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، ب/ صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَعَدَدِ رَكَعَاتِ النَّبِيِّ ﷺ فِي اللَّيْلِ، وَأَنَّ الْوِتْرَ رَكْعَةٌ، وَأَنَّ الرَّكْعَةَ صَلَاةٌ صَحِيحَةٌ، رقم: ١٢٩ ـ (٧٣٩)١/٥١٠. وينظر حديث رقم: ٧ – (١١٧٤).

(٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للإمام شهاب الدين أحمد القسطلاني، ٦٧٨/٤، دار الفكر، لبنان، الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م. وينظر: المسان مادة: (أزر). الكناية والإيماء: نيابة عن الألفاظ التي توجب الاستحياء، يسري سعد عبد الله، مجلة كلية اللغة العربية ـ جامعة أم درمان الإسلامية ـ السودان، ع/٧، ٢٠١٤م، صـ٣٢١ وما بعدها.

ثم كان من مظاهر الاجتهاد في العبادة كذلك أن قالت أم المؤمنين: **(وَأَحْيَا لَيْلَهُ)** وهذا من المجاز، ولا يمكن حمله على الحقيقة؛ إذ لو حُمل عليها فلابد من تصوّر الليلِ إنسانًا ميتًا يُنفَخ فيه الروح، وهذا مما لا يكون، ولا يقال هذا حال المجاز أيضًا، فلو قال قائل: هذا على سبيل الاستعارة المكنية، بتشبيه الليل بإنسان، وحذف المشبه به، وإثبات لازمه للمشبه، فقد قال ما ليس بقول؛ لأن هذا ليس مرادًا، وليس الليل مقصودَ الخطاب، وإنما فعل النبي ﷺ في هذا الوقت هو المراد.

ومعنى (وَأَحْيَا لَيْلَهُ) أي تعميرُه بالعبادة بالاستيقاظ وهجْر المضاجع وذلك من "استعارة الإحياء للاستيقاظ: أي سهِرَه، فأحياه بالطاعة، وأحيا نفسه بسهره فيه؛ لأن النوم أخو الموت"(١)، فهذه استعارة تبعية في الفعل (أحيا). ولو سلكتْ طريقَ الحقيقة لقالت: استيقظ ليلاً، أو قالت: كان النبي ﷺ ينام أول الليل، ويستيقظ آخره للصلاة والعبادة، لكنها آثرت المجاز؛ فصلاة الليل سمة الأحياء العقلاء، فجعلت الزمان الخالي عن العبادة بمنزلة الميت، وبالعبادة فيه يصير حيًّا، على تشبيه النوم بالموت، وضده بالحياة(٢)، والإحياء يناسب العبادة من حيث إنها تكون حال الحياة واليقظة، ويتحقق بذلك الغاية الاستعارية؛ لأن "الاستعارة هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مُدّعِيًا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالًّا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به"(٣).

إن استعارة الإحياء لليقظة ـ في العموم ـ لا يعني بالضرورة القيامَ بأمر العبادة ـ كما مر ـ لكنه أفاد هنا القيامَ من النوم للصلاة والعبادة، ويشهد لذلك أمور؛ منها إيقاع الإحياء على الليل الذي هو ظرفه، ولا يكاد يذكر الإحياء مقيدًا بكونه ليلاً إلا إذا أريد به العبادة. ثم كان الإحياء من النبي ﷺ ليكون الفارق في معنى المجاز ومآله بين (أحيا الله ﷻ الإنسانَ من نومه) (وأحيا النبي ﷺ ليله) فكلاهما مجاز، الأول عن اليقظة ولا يلزم أن يتخطاها إلى إفادة قيام الإنسان بالعبادة، لكن المجاز الآخر يلزم منه أن يتعدى اليقظةَ إلى العبادة، ولذلك

---

(١) نيل الأوطار، للشوكاني، تح/ عصام الدين الصبابطي، ٣١٩/٤، دار الحديث، مصر، الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

(٢) ينظر: شرح سنن ابن ماجة القزويني، لأبي الحسن الحنفي المعروف بالسِّندي، ٤١٢/١، ٥٣٧، دار الجيل ـ بيروت، بدون.

(٣) مفتاح العلوم صـ٤٧٧. وينظر: المثل السائر ٦٢/٢، ٦٣.

إذا قام الإنسان في الليل وسهر دون عبادة، فإنه لا يقال عنه عادة: أحيا الليل. ويشهد لهذا قولُ أم المؤمنين أيضًا: (وأيقظ أهله) ولم تقل: وأحيا أهله، فلو استعارت الإحياءَ لمجرد الاستيقاظ لقالت: وأحيا أهله، وإنما أيقظ رسول الله ﷺ أهله ليُحيوا الليلَ كما أحياه هو.

كما أن استعارة الإحياء للعبادة وتعميرِ الليل بها دليلُ التوسع في العبادة، فلم تقل: قام الليل، لأنه مع ما فيه من المجاز أيضًا إلا أن هذا المنطوق مجاز عن الصلاة وحدها، لكنه انشغل في ليله بالصلاة والذكر والقرآن وغير ذلك، وهنا تظهر مناسبة اللفظ لمعناه، فإنه لما كان المعنى متسعًا لأنواع البر والطاعات عبرت بالمجاز في قولها (أحيا ليله) وعن طريق المجاز نستطيع تحريرَ اللفظ من قيود الوضع إلى آفاق واسعة، ولا يمكن حصول هذا الاتساع إلا إذا احتكمنا إلى قوانين الاستعمال اللغوي، فمقاصد المتكلمين لا يحكمها الوضع المجرد فقط، ولا يمكن الوصول إليها إلا من اللغة في سياق الاستعمال المتجدد(١).

وفي حديث الإمام مسلم **(كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَيُحْيِي آخِرَهُ)** فيه من المجاز ما في قوله: **(وَأَحْيَا لَيْلَهُ)** الفارق بينهما أن قولها: (ويحيي آخره) هذا في سائر الليالي، وقولها: (وَأَحْيَا لَيْلَهُ) خاص بالعشر الأواخر من رمضان، فلما عظم الأجر هجر مضجعه طوال ليله رغبةً في الثواب، وليلفت الانتباه إلى عِظَم تلك الليالي. ثم إنه لما أُطلق الإحياءُ إحياء الليل على من قام فيه من نومه مجتهدًا في العبادة، فإن العكس صحيح؛ فيكون مَن نام ولم يقم، أو قضى ليله في معاصٍ أو محرمات قد أمات ليله.

وفي صحيح البخاري "**عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ البَرَاءِ، قَالَ: اشْتَرَى أَبُو بَكْرٍ ﷺ مِنْ عَازِبٍ رَحْلًا بِثَلاَثَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعَازِبٍ: مُرِ البَرَاءَ فَلْيَحْمِلْ إِلَيَّ رَحْلِي، فَقَالَ عَازِبٌ: لاَ، حَتَّى تُحَدِّثَنَا: كَيْفَ صَنَعْتَ أَنْتَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ خَرَجْتُمَا مِنْ مَكَّةَ، وَالمُشْرِكُونَ يَطْلُبُونَكُمْ؟ قَالَ: ارْتَحَلْنَا مِنْ مَكَّةَ، فَأَحْيَيْنَا، أَوْ: سَرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَيَوْمَنَا حَتَّى أَظْهَرْنَا وَقَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ**"(٢).

فعبر عن عدم النوم بالإحياء، فهي يقظة لم تقترن بعبادة، وإنما اقترنت بسرعة المسير، ودليل ذلك ما رواه البخاري "**عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ البَرَاءَ، يُحَدِّثُ قَالَ: ابْتَاعَ أَبُو**

(١) ينظر: اللغة العليا دراسات نقدية في لغة الشعر، د/ أحمد محمد معتوق، صـ٧١، المركز العربي الثقافي ـ الدار البيضاء ـ المغرب، الأولى، ٢٠٠٦م.

(٢) البخاري، ك/ المناقب، ب/ مَنَاقِب المُهَاجِرِينَ وَفَضْلِهِمْ، رقم: (٣٦٥٢) ٣/٥.

بَكْرٍ مِنْ عَازِبٍ رَحْلًا، فَحَمَلْتُهُ مَعَهُ، قَالَ: فَسَأَلَهُ عَازِبٌ عَنْ مَسِيرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أُخِذَ عَلَيْنَا بِالرَّصَدِ، فَخَرَجْنَا لَيْلًا فَأَحْثَثْنَا لَيْلَتَنَا وَيَوْمَنَا حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ"(١).

فقال: (فأحثثنا) من الحث، وهو "الإِعْجالُ فِي اتِّصالٍ"(٢)، وهنا يظهر مدى تأثير السياق الداخلي للنص والخارجي في تحديد تلك الدلالة؛ حيث يطلق إحياء الليل حينًا ويراد تعميرُه بالعبادة، ويطلق حينًا ويراد اليقظة وعدم النوم.

(١) البخاري، ك/ المناقب، ب/ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ إِلَى المَدِينَةِ، رقم: (٣٩١٧) ٥/٦٤.

(٢) لسان العرب، مادة: (حثث)

ثانيًا: إماتة الصلاة:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه حديثين حذَّر فيهما رسول الله ﷺ من إماتة الصلاة، كلاهما في باب واحد؛ أولهما "**عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ: كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟ أَوْ يُمِيتُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟ قَالَ: قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، فَإِنْ أَدْرَكْتَهَا مَعَهُمْ، فَصَلِّ، فَإِنَّهَا لَكَ نَافِلَةٌ**"(١).

وآخرهما "**عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ يُمِيتُونَ الصَّلَاةَ، فَصَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، فَإِنْ صَلَّيْتَ لِوَقْتِهَا كَانَتْ لَكَ نَافِلَةً، وَإِلَّا كُنْتَ قَدْ أَحْرَزْتَ صَلَاتَكَ**"(٢).

إن الراويَ الأعلى للحديثين أبو ذر، لكن الأول من طريق (حَمَّاد، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ) والآخر من طريق (جَعْفَر بْن سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ) وكلتا الروايتين تعضد إحداهما الأخرى، والنبي الكريم ﷺ يبين أن الإنسان قد يميت صلاته، وذلك يكون بتأخيرها عن وقتها.

ومعلوم أن (إماتة الصلاة) من باب المجاز قطعًا؛ لقصور المعنى الحرفي عن مجاراة السياق، قال النووي: "فيجعلونها كالميت الذي خرجت روحه"(٣)، لكنهم لم يجعلوها كالميت إلا من حيث كانوا سببًا في إماتتها. وقد أحسن الطيبي حين قال: "شبه إضاعةَ الصلاة وتأخيرَها عن مَوْقِتِها بجيفة ميتة تنفر عنها الطباع، كما شبه المحافظة عليها وأداءها في وقت اختيارها بذي حياة له نضارة وطراوة في عنفوان شبابه، ثم أخرجها مخرج الاستعارة وجعل القرينة يميتون؛ لأنه لازم المشبه به"(٤).

---

(١) أخرجه مسلم، ك/ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، ب/ كَرَاهِيَةِ تَأْخِيرِ الصَّلَاةِ عَنْ وَقْتِهَا الْمُخْتَارِ، وَمَا يَفْعَلُهُ الْمَأْمُومُ إِذَا أَخَّرَهَا الْإِمَامِ، رقم: ٢٣٨ – (٦٤٨) ٤٤٨/١.

(٢) أخرجه مسلم، ك/ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، ب/ كَرَاهِيَةِ تَأْخِيرِ الصَّلَاةِ عَنْ وَقْتِهَا الْمُخْتَارِ، وَمَا يَفْعَلُهُ الْمَأْمُومُ إِذَا أَخَّرَهَا الْإِمَامِ، رقم: ٢٣٩ – (٦٤٨) ٤٤٨/١.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٤٧/٥.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) تح/ د. عبد الحميد هنداوي، ٨٨٦/٣، ٨٨٧، مكتبة نزار مصطفى الباز ـ الرياض، الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

إنها إذن استعارتان، **الأولى** استعارة سكت عنها البيان الكريم، وهي لازمة عن منطوقه ﷺ فدخول وقت الصلاة والإعلام بها والنداء لها يَأْذَن بحضورها، وأنها حيّة ما أُقيمت، **والأخرى** استعارة بدت في منطوقه ﷺ فقد استعار الإماتة للتأخير، وإذا كان المجاز انتقال باللفظ عن أصل وضعه، لملاحظةٍ بين الثاني المنقول إليه، والأوّل المنقول عنه(١)، فالاستعارة لا تعني "الموت النهائيّ للمعاني الأصلية؛ فالمتكلم يجد في المعنى المستعار ملاذًا له، يلجأ إليه عندما تأبى التعابير المباشرة أن تنقُل مقاصده ومراميَه، فيصبح لا مفر له من امتطاء صهوة التعابير المجازية التي تعد الاستعارة أحد روافدها"(٢). وعليه فقد جعل البيان النبوي الصلاةَ جسدًا روحه أداؤها، فإذا لم تؤدَّ فقد فارق الروح الجسد فأميتت. وطريق المجاز هنا أولى من الحقيقة؛ فقوله: (يميتون الصلاة) أولى من (يؤخرونها) لما فيه من التنفير من تأخيرها، والتشنيع على من يفعل ذلك، فالاستعارة إذا وقعت موقعَها، وأصابت غَرَضها، وصلَ المعنى إلى القلب مع وصول اللفظ إلى السمع، واستقرَّ في الفهم مع وقوع العبارة في الأذن(٣).

فهي استعارة تبعية في الفعل (يُميتون) والاستعارة هنا ألقت في نفس المتلقى ترهيبًا وردعًا؛ إذ كانت النفوس تفزع من ذكر الموت وتداعياته، والمجاز تصرف في دلالات الكلام، ويشير إلى مدى إمكانية الاستجابات الذهنية للكلمات في طبيعة أصحاب اللغة، وتلك مقدرة صحيحة قوية نفاذة؛ لأنها تتخطى الفروق الدلالية بين الكلمات في ثوبها الحقيقي والمجازي بسرعة، وهذه واحدة من آثار الذكاء وسرعة الإدراك(٤). وفي المجاز أيضًا تجسيد للصلاة، بل تجسيد للمعنى كله، "وهذا تعالٍ بالغرض، وتفخيم منه؛ إذ صِير إلى حيز ما يُشاهد، ويُلمَس، ويُعايَن"(٥)، قال الإمام عبد القاهر في شأن الاستعارة: "فإنك لترى بها الجمادَ حيّاً

---

(١) ينظر: أسرار البلاغة، صـ٣٥١. مفتاح العلوم صـ٤٣٧.

(٢) الاستعارة في المنجز اللساني العربي مقاربة تداولية، د/ صلاح ملاوي، د/ كادة ليلى، مجلة دراسات لجامعة الأغواط، ع/٣٠، ٢٠١٤م، صـ٥٣.

(٣) ينظر: أسرار البلاغة صـ٢٢، ٤٣.

(٤) ينظر: التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، د/ محمد أبو موسى، صـ٤٠٥، مكتبة وهبة، السابعة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

(٥) الخصائص ٤٤٥/٢.

ناطقًا، والأعجمَ فصيحًا، والأجسامَ الخُرسَ مُبينةً، والمعاني الخفيّةَ باديةً جليّةً ...، إن شئت أرتك المعانيَ اللطيفةَ التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جُسِّمت حتى رأتها العيون"(١).

هذا وقد اختلف أهل العلم في الصلاة التي يطلق عليها إماتة؛ أيراد بها تلك التي أُخرت عن أول وقتها، أم أنها التي أُخرت حتى خرج وقتُها كله؟ قولان لأهل العلم، قال النووي: "والمراد بتأخيرها عن وقتها أي عن وقتها المختار، لا عن جميع وقتها؛ فإن المنقول عن الأمراء المتقدمين والمتأخرين إنما هو تأخيرها عن وقتها المختار، ولم يؤخرها أحد منهم عن جميع وقتها، فوجب حمْل هذه الأخبار على ما هو الواقع"(٢).

وقال الحافظ ابن حجر: "قال المهلب: والمراد بتضييعها تأخيرها عن وقتها المستحب، لا أنهم أخرجوها عن الوقت، كذا قال، وتبعه جماعة، وهو مع عدم مطابقته للترجمة مخالف للواقع؛ فقد صحّ أن الحجاج وأميرَه الوليد وغيرَهما كانوا يؤخرون الصلاة عن وقتها، والآثار في ذلك مشهورة؛ منها ما رواه عبد الرزاق عن بن جريج عن عطاء قال: أخّر الوليد الجمعة حتى أمسى، فجئت فصليت الظهر قبل أن أجلس، ثم صليت العصر وأنا جالس إيماء وهو يخطب"(٣). ولا مانع من الجمع بين القولين؛ من حيث يكون من أخّرها عن أول وقتها ـ دون عذر ـ فقد أماتها زمنًا حتى يُصليَها، ومن أخرها حتى يخرج وقتها ـ دون عذر ـ كأنه أماتها ولو صلاها بعد ذلك.

إن متن الحديث قائم على الحوار بين النبي ﷺ وأبي ذر، وقصدُ المتكلم أظهر ما يكون في الخطاب القائم على الحوار "إذ يتعلق القصد بمعنى الخطاب في السياق، ويتم الاعتداد به خصوصًا الخطاب الحواري"(٤)، والنبي ﷺ أرشد أبا ذر إلى ما يجب فعله في تلك الحالة التي قال عنها: (سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ يُمِيتُونَ الصَّلَاةَ) فقال: (صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، فَإِنْ صَلَّيْتَ لِوَقْتِهَا كَانَتْ لَكَ نَافِلَةً، فَإِنْ أَدْرَكْتَهَا مَعَهُمْ، فَصَلِّ) وهذا توجيه نبوي، ومن خصائص التوجيهات النبوية أنها توجيهات عامة إلا ما ورد النص فيه بالتخصيص، فهذا توجيه عامّ،

---

(١) أسرار البلاغة صـ٤٣ بحذف.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٤٧/٥.

(٣) فتح الباري لابن حجر ١٤/٢.

(٤) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، صـ٢٠٠، دار الكتاب الجديد المتحدة ـ بيروت ـ لبنان، الأولى، ٢٠٠٤م.

لا يخص أبا ذر وحده؛ إنه توجيه يتخطى حدود الزمان والمكان؛ فقد أخبره بأن هذا شأنُ أمراء بعده، ولعل أبا ذر لا يدركهم، فهذا بيان لكل من يتأتى منه أن يسمع قول النبي ﷺ على بُعد الزمان والمكان. وقد خُتم البيان النبوي بقوله: (وَإِلَّا كُنْتَ قَدْ أَحْرَزْتَ صَلَاتَكَ) والمعنى "قَدْ أَحْرَزْتَ صَلَاتَكَ بِفِعْلِكَ فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ، أَيْ حَصَّلْتَهَا وَصُنْتَهَا وَاحْتَطْتَ لها"(١).

ثالثًا: أمر الله ﷻ يحيي المؤمنين والمؤمنون يُحيونه:

وَرَدَ (إحياء أمر الله ﷻ) دليلاً على إقامته والعمل به بعد إهماله وتركه، وأمر الله يحيي المؤمنين كذلك، فهي علاقة تبادلية، يحيون أمر الله وأمر الله يحييهم؛ وقد ورد إحياؤهم إياه مرة واحدة في صحيح الإمام مسلم "**عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: مُرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِيَهُودِيٍّ مُحَمَّمًا مَجْلُودًا، فَدَعَاهُمْ ﷺ فَقَالَ: هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَدَعَا رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ، فَقَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ، قَالَ: لَا، وَلَوْلَا أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بِهَذَا لَمْ أُخْبِرْكَ، نَجِدُهُ الرَّجْمَ، وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا، فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ، وَإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ، قُلْنَا: تَعَالَوْا فَلْنَجْتَمِعْ عَلَى شَيْءٍ نُقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ، فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ، وَالْجَلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اللهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ، فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ﴾ [المائدة: ٤١] إِلَى قَوْلِهِ ﴿ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ ﴾ [المائدة: ٤١] يَقُولُ: ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنْ أَمَرَكُمْ بِالتَّحْمِيمِ وَالْجَلْدِ فَخُذُوهُ، وَإِنْ أَفْتَاكُمْ بِالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤٧ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٤٥ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٤٤ ﴾ فِي الْكُفَّارِ كُلِّهَا"(٢).

لقد مر النبي ﷺ على يهودي (**مُحَمَّمًا**) أي مسود الوجه، والمحَمَّم: اسم مفعول من التحميم،

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٤٨/٥.

(٢) أخرجه مسلم، ك/ الحدود، ب/ رَجْمِ الْيَهُودِ أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي الزِّنَى، رقم: ٢٨ - (١٧٠٠) ١٣٢٧/٣.

وهو التسويد بالْحُمَم، **(مَجْلُودًا)** اسم مفعول من جَلَدْتُ الجاني جَلْدًا[١]، فعَلم بذلك أنه ارتكب الفاحشة، لكنهم فعلوا به غير ما أمرهم الله ﷻ به في التوراة، فسألهم النبي ﷺ سؤالاً على سبيل الإنكار عليهم والتوبيخ له: **(هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟)** فقالوا: نعم، ثم أقروا على أنفسهم أنهم جعلوا التحميم والجلد مكان الرجم الذي أمرهم الله ﷻ به، لكن النبي ﷺ أقام أمر ربه، وأمرهم برجم الزاني، وفي هذا دليل على أن النبي ﷺ "إنما رجمهما بحكم التوراة، وليس هو من حكم الإسلام في شيء، وإنما هو من باب تنفيذ الحكم عليهم بما في كتابهم؛ فإن في التوراة الرجم على المحصن وغير المحصن"[٢]. ولعل هذه أولى حادثات الرجم على عهد النبي ﷺ فعن "**أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: أَوَّلُ مَرْجُومٍ رَجَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْيَهُودِ**"[٣].

وقوله ﷺ: **(اللهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ)** أي أنا أول من عمل العمل الذي أمرت به من إقامة الحد، في الوقت الذي لم يعمل اليهود فيه بأمرك، فاستعار الإحياء للعمل بأمر الله ﷻ بعدما تركه اليهود، وأبطلوا العمل به عن عمد، ولن يتأتى له أن يطلق الإحياء على إقامة الحد حتى يكون فعل اليهود إماتةً لهذا الحد؛ إذ كَثُرَ الزنا فِي أَشْرَافِهم، فَكانوا إِذَا أَخَذوا الشَّرِيفَ تَرَكُوهُ، وَإِذَا أَخَذوا الضَّعِيفَ أَقَاموا عَلَيْهِ الْحَدَّ، فاجتمعوا عَلَى شَيْءٍ أقاموه عَلَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ، فَجَعَلوا التَّحْمِيمَ وَالْجَلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ.

ولعل قول النبي ﷺ: **(اللهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ)** أقرب ما تكون إلى الاستعارة التمثيلية؛ حيث شبه إقامته الحد بعدما تعمد اليهود تفويتَه وترْكَ العمل به بمن أحيا ميتًا، فالحدود حية ما أقيمت وانتفع الناس بها، كالحي الذي يؤثر فيمن حوله، فإذا ضُيّعت فلا حياة فيها، فكانت كالميت لا منفعة ترجى منه.

لقد أضفى البيان الكريم صفات الأحياءِ العقلاء على إقامة الحدود، والعمل بأمر الله ﷻ والعكس صحيح؛ إذ أضفى صفات الأموات على ترك العمل بما أمر الله ﷻ وتلك خاصية للاستعارة؛ فإن اللفظ المستعار له خصائصُه التي يقوم بها، وفي حالة الاستعارة لا يتناسى

---

(١) ينظر: لسان العرب مادة: (حمم، جلد)

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ١٢/١٧٠.

(٣) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه، ك/ الطلاق، ب/ الرجم والإحصان، رقم: (١٣٣٣٠) ٣١٥/٧، تح/ حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي ـ الهند، الثانية، ١٤٠٣هـ. وينظر: الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محمد الأمين، ٤٨٢/١٨، دار المنهاج، الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

المتكلم والمخاطبُ تلك الخصائص، بل تزال متعلقةً به، جعلته أولى بالمقام من اللفظ الحقيقي لاشتماله على هذه الخصائص، قال الإمام عبد القاهر: "اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للَّفظ أصلٌ في الوضع اللغوي معروفٌ، تدلُّ الشواهد على أنه اخْتُصَّ به حين وُضع، ثم يستعملُه الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقُلُه إليه نقلاً غيرَ لازمٍ، فيكون هناك كالعارِيَّة"(١).

أما إحياء أمر الله ﷻ المؤمنين فقد روى الإمام البخاري "**عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي المَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤] ثُمَّ قَالَ لِي: لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ، قَالَ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [الفاتحة: ٢] هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**"(٢).

إن النبي ﷺ دعا أبا سعيد ﷺ فصلى أبو سعيد، ثم لبَّى النداء، فعاتبه النبي ﷺ قائلاً: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ فقد كان عليه إجابةُ رسول الله ﷺ على الفور "وفي الحديث دليل علي أن إجابة الرسول ﷺ في الصلاة لا تبطلها، كما أنك تخاطبه بقولك: (السلام عليك أيها النبي) ومثله يُبطل الصلاة مع غيره"(٣).

وقد استَدل البيان الكريم على وجوب إجابة دعوته بقوله تعالى: ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ وهو جزء من خطابه ﷺ ويراد به الطاعة

---

(١) أسرار البلاغة صـ٣٠. وينظر: الاستعارة وعلاقة الإنسان بالبيئة في ضوء النظرية التفاعلية، علوى أحمد صالح الملجمي، مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، ع/٩، ديسمبر، ٢٠١٥، صـ٣٢٣.

(٢) أخرجه البخاري، ك/ تفسير القرآن، مَا جَاءَ فِي فَاتِحَةِ الكِتَابِ، رقم: (٤٤٧٤) ١٧/٦. وينظر حديث رقم: (٤٧٠٣).

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٠٨٤/٣.

والامتثال لما يدعو إليه النبي الكريم؛ لأن دعوة الله ﷻ لا تُسمع إلا من الرسول ﷺ وقوله تعالى: ﴿ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ أي من علوم الديانات والشرائع؛ لأن العلم حياة، كما أن الجهل موت، وللزمخشري: [من المنسرح]

لَا تُعْجِبَنَّ الْجَهُولَ حُلَّتُهُ فَذَاكَ مَيْتٌ وَثَوْبُهُ كَفَنُ(١)

وقد شبه القرآن الكريم ما يفعله العمل الصالح بالمؤمنين الذين يمتثلون أمر النبي ﷺ بالإحياء، استعارة تصريحية تبعية؛ لبيان قدر الطاعة لرسول الله ﷺ وإذا كانت الاستجابة لأمره ودعائه حياةً للمؤمنين، فإن الإعراضَ وعدمَ الاستجابةِ موت لهم. وقوله تعالى: ﴿ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ قيد داخل في قيد آخر، وهو قوله: ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾ وقد يُستغنى عن هذين القيدين في غير القرآن الكريم، لكنه "لما كان دعاء الرسول ﷺ لا يخلو عن إفادة شيء من معاني هذه الحياة، أمر الله ﷻ الأمةَ بالاستجابة له، فالآية تقتضي الأمر بالامتثال لما يدعو إليه الرسول ﷺ سواء دعا حقيقة بطلب القدوم، أم طلب عملاً من الأعمال، فلذلك لم يكن قيد ﴿ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ مقصودًا لتقييد الدعوة ببعض الأحوال، بل هو قيد كاشف، فإن الرسول ﷺ لا يدعوهم إلا وفي حضورهم لديه حياة لهم، ويكشف عن هذا المعنى في قيد ﴿ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾"(٢).

وبذلك يتبادل المؤمنون والعمل الصالح في الإحياء والإماتة، فهم يحيونه وهو يحييهم، فإن تركوه أماتوه وأماتهم، وعليه يكون البيان النبوي قد أكسب المعاني التي تدرك بالعقل صورة حسية، سواء أكان من كلامه ﷺ أم من خلال الاستدلال بآيات الذكر الحكيم، وهذا مما تمتاز به الاستعارة، فتكون أحيانًا تجسيدًا للفكرة؛ ووسيلة من الوسائل التي يتصرف المتكلم بها لنقل رسالته وتجسيدها؛ حيث تثير شبكةً من التفاعلات والارتباطات القائمةِ على إدراك

---

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، علق عليه: خليل مأمون شيحا، ٢/٢١٠، دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان، الثالثة، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/١٤٥٩.

(٢) التحرير والتنوير ٩/٣١٣.

المعاني وعرضها في صورة حسية، بشكل تلقائي دون قصد أو عناء؛ لأن الاستعارة مبنية على عملية إسقاط أو ما يسمى بإلباس المجردات ثوب المحسوسات(١).

رابعًا: إحياء الأرض الميتة:

ترجم البخاري بابًا في صحيحه أسماه (بَابُ مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَوَاتًا) قال فيه: "**وَرَأَى ذَلِكَ عَلِيٌّ فِي أَرْضِ الخَرَابِ بِالكُوفَةِ مَوَاتٌ، وَقَالَ عُمَرُ: مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ، وَيُرْوَى عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ: فِي غَيْرِ حَقِّ مُسْلِمٍ، وَلَيْسَ لِعِرْقِ ظَالِمٍ فِيهِ حَقٌّ**"(٢).

إن عليًّا ﷺ رأى إحياء الموات، وأنها لمن أحياها، ورُوي عن النَّبِيّ ﷺ أنه قال: (في غير حق) أي وليست هذه الأرضُ الميتةُ مملوكةً لمسلم (وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ فِيهِ حَقٌّ) أي ليس لمن غرس في أرض غيره دون إذنه حق في إبقاء ما غرس؛ لأنه ظالم ومتعدٍ في غرسه(٣).

والأرض الميتة هي "الأَرض الَّتِي لَمْ تُزْرَعْ وَلَمْ تُعْمَرْ، وَلَا جَرى عَلَيْهَا مِلكُ أَحد، وإِحْياؤُها مُباشَرةُ عِمارتِها، وتأْثِيرُ شَيْءٍ فِيهَا، وَيُقَالُ: اشْتَرِ المَوَتانَ، وَلَا تشْتَرِ الحَيَوانَ؛ أَي اشْتَرِ الأَرَضِين والدُّورَ، وَلَا تَشْتَرِ الرَّقِيقَ والدوابَّ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ: المَوَتانُ مِنَ الأَرض الَّتِي لَمْ تُحيَ بعْد"(٤).

فقوله: (من أحيا أرضًا) أي عمرها بالري والزرع، وجعل فيها نباتًا حيًّا بعد أن كانت جرداء، وأهل العلم "اختلفوا في أن إطلاق اسم الميت على الجماد حقيقة أو مجاز، والأكثرون على أنه مجاز؛ لأنه شبه الموات بالميت، وليس أحدهما من الآخر بسبيل؛ لأن الميت ما يحل به الموت، ولا بد وأن يكون بصفةِ مَن يجوز أن يكون حيًّا في العادة، فيكون اللحمية والرطوبة، وقال الأولون: هو حقيقة فيه ... والأول هو الأقرب؛ لأنه يقال في الجماد: إنه موات، وليس بميت، فيُشْبِه أن يكون استعمالُ أحدهما في الآخر على سبيل التشبيه"(٥). قال

---

(١) ينظر: الاستعارة في النقد الأدبي الحديث الأبعاد المعرفية والجمالية، د/ يوسف أبو العدوس، صـ٢٧، الأهلية ـ عمان ـ الأردن، الأولى، ١٩٩٧م. أنماط اشتغال الاستعارة في البلاغة الجديدة، سامية إدريس، مجلة الخطاب ـ جامعة مولود معمري تيزي وزو ـ ع/٨، ٢٠١١م، صـ٢١٧.

(٢) صحيح البخاري ١٠٦/٣.

(٣) ينظر: صحيح البخاري ١٠٦/٣، [تعليق مصطفى البغا].

(٤) لسان العرب، مادة: (موت)

(٥) مفاتيح الغيب ـ التفسير الكبير، للفخر الرازي، ٣٧٧/٢، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الثالثة ـ ١٤٢٠هـ.

الزمخشري: "ومن المجاز: أتيت الأرض فأحييتها أي وجدتها حية النبات مخصِبة، ووقع في الأرض الحيا وهو المطر، وأحيا القوم: أخصبوا، وحييت أرضهم، وأحيا أرضًا ميتة"(١).

إن المجاز في هذا ظاهر بيّن من حيث إن الأرض ليس لها روح فيُحكم عليها بالموت إذا نُزعت منها، أو بالحياة ما دامت فيها، على ما هو الحقيقة في استعمال كلتا المادتين، لكن النبات الذي يخرج من الأرض هو مصدر بقاء كل حي على ظهرها، فلما كان إنباتها سببًا في بقاء الأحياء واستمرارهم فلا ريبَ في جعْل استنباتِها حياةً، ثم قَبِلَتهم بعد موتهم، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۝٢٦ ﴾ [المرسلات: ٢٥، ٢٦] ولعلها يُطلق عليها ميتة من تلك الجهة أيضًا، والله أعلم.

وأظهر من هذا أن يقال: شبه إعمار الأرض وزراعتها بالإحياء "قال القزاز: الموات الأرض التي لم تُعْمَر، شُبهت العمارة بالحياة، وتعطيلها بفقد الحياة، وإحياء الموات أن يعمد الشخص لأرض لا يَعلَم تقدُّمُ ملك عليها لأحد، فيحييها بالسقي أو الزرع أو الغرس أو البناء، فتصير بذلك ملكه، سواء كانت فيما قرب من العمران أم بَعُد، سواء أذن له الإمام في ذلك أم لم يأذن"(٢)، ودليل ذلك أن النبي ﷺ صرح بحقيقة هذا المعنى في حديث "**عَائِشَةَ -رضي الله عنها- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ، قَالَ عُرْوَةُ: قَضَى بِهِ عُمَرُ -رضي الله عنه- فِي خِلاَفَتِهِ**"(٣)، فصرح بإعمارها على ما تقتضيه الحقيقة.

وعليه فإن "الإحياء - وهو إيجاد الروح - إنما يناسب الحيوان لا الأرض، والذي يناسب الأرض إنما هو التزيين، فيشبَّه حينئذ تزينُها بالنبات ذي الخضرة والنضرة بالإحياء في الحسن والنفع، ثم يُستعار لفظُ الإحياء بعد التناسي والادعاء للتزيين، ثم يشتق من الإحياء بمعنى التزيين يحيي بمعنى يزين على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية"(٤).

ويبدو التأثر الواضح في إحياء الأرض بعد موتها بالقرآن الكريم، فقد كثر هذا المجاز

---

(١) أساس البلاغة ٢٢٧/١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ١٨/٥. القَزَّاز هو: محمد بن سنان، أبو الحسن القزاز البصري: محدّث من أهل البصرة، عاش في بغداد، وتوفي سنة أربع وثمانين وثمانمائة للهجرة. ينظر: الأعلام، للزركلي، ١٥٣/٦.

(٣) أخرجه البخاري، ك/ المُزَارَعَةِ، ب/ بَابُ مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَوَاتًا، رقم: (٢٣٣٥) ١٠٦/٣.

(٤) المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، ١٠٩/١، وينظر: ٢٥٣/٣، المكتبة الأزهرية للتراث، د - ت.

فيه[1]، ومنه قوله: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ ﴾ [الحديد: ١٧] ورأى الطاهر أنه يمكن حمل هذا على الاستعارة أو المجاز العقلي؛ من حيث "أطلقت الحياة على تحرك القوى النامية من الأرض، وهي قوة النبات استعارة؛ لأن الحياة حقيقة في ظهور القوى النامية في الحيوان، فشبهت الأرض به، وإذا جعلنا الحياة حقيقة في ظهور قوى النماء، وجعلنا النبات يوصف بالحياة حقيقة وبالموت، فقوله: فأحيا به الأرض مجاز عقلي، والمراد إحياء ما تراد له الأرض وهو النبات"[2].

خامسًا: إحياء النفس البشرية بإنقاذها من القتل

ورد في صحيح البخاري "**عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ .ﷺ قَالَتْ: رَأَيْتُ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ[3] قَائِمًا مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الكَعْبَةِ يَقُولُ: يَا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ، وَاللَّهِ مَا مِنْكُمْ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ غَيْرِي، وَكَانَ يُحْيِي المَوْءُودَةَ، يَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ ابْنَتَهُ: لاَ تَقْتُلْهَا، أَنَا أَكْفِيكَهَا مَئُونَتَهَا، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا تَرَعْرَعَتْ قَالَ لِأَبِيهَا: إِنْ شِئْتَ دَفَعْتُهَا إِلَيْكَ، وَإِنْ شِئْتَ كَفَيْتُكَ مَئُونَتَهَا**"[4].

إن زيدًا بن عمرو بن نفيل كان يحيي الموءودة، ومعنى إحيائه إياها إنقاذُها من الوأد، كما بينت أسماء ويكون قولها: (وَكَانَ يُحْيِي المَوْءُودَةَ) مجازٌ في الإحياء والوأد، أما مجاز الإحياء فقائم على تشبيه الإنقاذ من الوأد بالإحياء، وحذف المشبه، ثم اشتُق من (الإحياء) يُحيي بمعنى الإبقاء على الحياة، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. قال الحافظ ابن حجر: "كان يحيي الموءودة هو مجاز، والمراد بإحيائها إبقاؤها، وقد فسره في الحديث، ووقع

---

(١) يراجع على سبيل المثال: البقرة ١٦٤، النحل ٦٥، العنكبوت ٦٣، الروم ١٩، ٢٤، ٥٠، الجاثية ٥.

(٢) التحرير والتنوير ٨٣/٢. وينظر: الإحياء والإماتة بين الحقيقة والمجاز: دراسة قرآنية بلاغية صـ٣٩٤، ٤٤١ وما بعدها.

(٣) هو زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي، نبذ عبادة الأصنام في الجاهلية، ارتحل في الجزيرة العربية والشام والعراق بحثًا عن الدين الحق، لقي النبي ﷺ قبل البعثة، ومات قبل بَعثته. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٨١/١ وما بعدها، دار الحديث ـ القاهرة، الأولى، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

(٤) أخرجه البخاري، ك/ المناقب، ب/ حَدِيث زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، رقم: (٣٨٢٨) ٤١/٥.

في رواية ابن أبي الزناد (وكان يفتدي الموءودة أن تُقتَل)"[١].

إن تسمية الاستنقاذِ من القتل إحياءٌ لمن أهم أساليب الترغيب في افتداء من أَشْرَفَ على القتل ظلمًا؛ وفيه اعتقاد بمدى حرمة ذلك، حتى جعل الله ﷻ ذلك بمثابة إحياء الناس جميعًا؛ حيث قال: ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ ﴾ [المائدة: ٣٢] وفي هذا "تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب؛ ليشمئز الناس عن الجسارة عليها، ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها؛ لأنّ المتعرّض لقتل النفس إذا تصوّر قتلها بصورة قتل الناس جميعًا عظُم ذلك عليه فثبطه، وكذلك الذي أراد إحياءها"[٢].

وأما مجاز الموءودة فهو من تسمية الشيء باسم ما سيؤول إليه؛ إنها لم تُوأَد بعد، لكن وأدها لما كان متحقَّقًا سميت به، كأنه حلَّ بها، والموؤودة "مفعولة من وأد الشيء إذا أثقل، وأُطلق عليها اسم الوأد اعتبارًا بما أريد بها، وإن لم يقع، وكان أهل الجاهلية يدفنون البنات وهن بالحياة، ويقال: كان أصلها من الغيرة عليهن، لِما وقع لبعض العرب؛ حيث سبَى بنتَ آخر، فاستفرشها فأراد أبوها أن يفتديَها منه، فخيرها فاختارت الذي سباها، فحلف أبوها ليقتلنّ كلَّ بنت تولد له، فتُبع على ذلك"[٣].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٤٥/٧. والحديث أخرجه الطبراني عن "عَبْد الرَّحْمَنِ بْن أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: كَانَ زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَقِفُ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، ويُلْزِقُ ظَهْرَهُ إِلَى صَفْحَتِهَا، فَيَقُولُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا أَجِدُ عَلَى الْأَرْضِ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ غَيْرِي، وَكَانَ تَرَكَ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ، وَأَكْلِ مَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ، **وَكَانَ يُفَدِّي الْمَوْؤُودَةَ أَنْ تُقْتَلَ**". المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تح/ حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة، الثانية، مسند النساء، مَا رَوَى هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَسْمَاءَ، رقم (٢١٦) ٨٢/٢٤.

(٢) الكشاف ٦٢٧/١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٤٥/٧.

الخاتمة

– كثر دوران الإحياء والإماتة في الصحيحين بين الحقيقة والمجاز، في مقامات متعددة، منها التذكير بنعمة الله ﷻ على خلقه، والترغيب في الشهادة، والترهيب من الكذب على النبي ﷺ أو تأخير الصلاة عن وقتها، إلى غير ذلك.

– استعمال الألفاظ في معانيها الحقيقية الموضوعة لها في اللغة هو الأصل، إلا إذا تعذر حملها على الحقيقة فيكون المجاز. ولما كانت الحقيقة هي الأصل فلا مزية لها من حيث كونها حقيقة، لكن مزيتها في الطريق الذي تؤدَّى به، أما المجاز فيلزمه ميزةُ العدول عن الحقيقة إلى المجاز، وتركِ الأصل إلى الفرع، وهذا ما ألزمه بلاغةً من حيث كونه مجازًا، إذا صادف موقعًا حسنًا.

– الإحياء والإماتة لا يكونان على جهة الحقيقة إلا من الله ﷻ فليس غيرُه يستطيعُ ذلك، ولا يكونان على جهة الحقيقة أيضًا إلا إذا تعلقا بنفخ الروح وقبضها؛ فإذا أسندا إلى الله ﷻ وتعلقا بغير ذلك فهُما على المجاز، وإذا أسندا إلى غير الله ﷻ فهما على المجاز قطعًا، إلا ما كان من بعض خلقه بإذنه، كما كان من عيسى ﷺ كقوله: ﴿ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

أُسند الإحياء والإماتة ومشتقاتهما في الصحيحين إلى الله ﷻ وإلى غيره كثيرًا. أما إسنادهما إلى الله ﷻ فقد جاءت على سبيل الحقيقة غالبًا؛ حيث تعلق الإحياء بنفخ الروح في الأبدان، وتعلقت الإماتة بنزعها منها، ومن ذلك قولهم في النصراني الذي كذب على النبي ﷺ: (فَأَمَاتَهُ اللَّهُ فَدَفَنُوهُ) وقول خباب بن الأرت للعاص بن وائل: (لاَ أَكْفُرُ حَتَّى يُمِيتَكَ اللَّهُ، ثُمَّ تُبْعَثَ) وقول رسول الله ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ) إلى غير ذلك.

– لم يُسند الإحياء والإماتة إلى الله ﷻ في الصحيحين على سبيل المجاز إلا ما جاء في التذكير بنعمة الله على الناس حال النوم والاستيقاظ منه، ومنه قول النبي ﷺ: (الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) فإطلاق الموت على النوم مجاز لاشتراكهما في السكون والرقاد، وإطلاق الحياة على الاستيقاظ مجاز لاشتراكهما في السعي والحركة، ففي كليهما استعارة تصريحية تبعية واقعة في الفعل.

– أُسند الإحياء إلى غير الله ﷻ في الصحيحين وأريد به الحقيقة فيما جاء في خبر الدجال، وما جاء في شأن المصورين وتَوَعُّدِهم. فمن الأول قول النبي ﷺ: (يَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا، ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ هَلْ تَشُكُّونَ فِي الأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لاَ، فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ) ومن الثاني قول الله ﷻ للمصورين يوم القيامة: (أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ).

– إسناد الإحياء والإماتة إلى غير الله ﷻ أكثر ما يكون في الصحيحين على سبيل المجاز، وأكثر ما ورد في الإحياء من مجاز ارتبط ارتباطًا وثيقًا بإقامة شعائر الدين، ومن ذلك (إحياء الليل) حيث استعير الإحياء لتعمير الليل بالعبادة بالاستيقاظ وهجْر المضاجع. وكذلك أمر الله ﷻ يحيي المؤمنين والمؤمنون يُحيونه، فمن الأول قوله ﷻ: ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[الأنفال: ٢٤] ومن الثاني قول النبي ﷺ: (اللهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ).

– كذلك استعار البيان النبوي الإماتة لما من شأنه هدم شعائر الدين، ومن ذلك قول النبي ﷺ لأبي ذر: (كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟ أَوْ يُمِيتُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟) شبه إضاعةَ الصلاة وتأخيرَها عن مَوْقِتِها بجيفة ميتة تنفر عنها الطباع.

– استعير الإحياء لتعمير الأرض، ومن ذلك قول عمر بن الخطاب : (مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيِّتَةً فَهِيَ لَهُ) متأثرًا بما ورد في القرآن الكريم. وبذلك يكون كل ما ورد في الإحياء والإماتة على سبيل المجاز من باب الاستعارة. ومن المجاز أيضًا قول أسماء بنت أبي بكر في زيد بن عمرو بن نفيل: (وَكَانَ يُحْيِي المَوْءُودَةَ) مجاز في الإحياء والوأد، أما مجاز الإحياء فقائم على استعارة الإحياء للاستنقاذ من الوأد استعارة تصريحية تبعية، وأما مجاز الموءودة فهو من تسمية الشيء باسم ما سيؤول إليه.

ثبت المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم.

- الإحياء والإماتة بين الحقيقة والمجاز: دراسة قرآنية بلاغية، رباب صالح محمد، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادي ـ كلية الآداب، ع/٤٧، ٢٠١٧م.
- الإحياء والإماتة في القرآن الكريم دراسة معجمية موضوعية، عبد المجيد بن محمد الغيلي، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، منشور على موقع المؤلف: رحى الحرف.
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، دار الفكر، لبنان، الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
- الإرشاد في معرفة علماء الحديث، أبو يعلى الخليلي، تح/ محمد إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ.
- أساس البلاغة، للزمخشري، تح/ محمد باسل، دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه/ محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.
- الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م.
- أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، للخطابي، تح/ د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى، مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، الأولى، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.
- الإمام البخاري وكتابه الجامع الصحيح، د/ عبد المحسن العباد، مجلة الجامعة الإسلامية، السنة الثانية، ربيع الثاني، ع/٤، ١٣٩٠هـ.
- أنماط اشتغال الاستعارة في البلاغة الجديدة، سامية إدريس، مجلة الخطاب ـ جامعة مولود معمري تيزي وزو ـ ع/٨، ٢٠١١م.
- البداية والنهاية، تح/ علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب ـ القاهرة، الأولى، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

- بلاغة أسلوب الحقيقة دراسة وتقويم، أحمد فريد أبو سالم، مجلة بحوث التربية النوعية، جامعة المنصورة، ع/٢٠، فبراير ـ ٢٠١١م.
- بنية الكناية: دراسة في شبكة العلاقات الدلالية، جاسم سليمان الفهيد، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ـ جامعة الكويت، مج/ ٢٢، ع/٨٨، ٢٠٠٤م.
- التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر ـ تونس، ١٩٨٤هـ.
- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تح/ الصادق بن محمد، دار المنهاج – الرياض، الأولى، ١٤٢٥هـ.
- تذكرة الحفاظ، شمس الدين الذهبي، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، تح/ مصطفى عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الأولى، ١٤١٧هـ.
- التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، د/ محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، السابعة، ٢٠٠٩م.
- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تح/ أحمد البردوني، دار الكتب المصرية ـ الثانية، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، للإمام البخاري، تح/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الأولى، ١٤٢٢هـ.
- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الرابعة، د ـ ت.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه/ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، دار المدني بجدة، الثالثة، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة ـ بيروت ـ لبنان، الأولى، ٢٠٠٤م.
- الاستعارة وعلاقة الإنسان بالبيئة في ضوء النظرية التفاعلية، علوى أحمد صالح الملجمي، مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، ع/٩، ديسمبر، ٢٠١٥.
- الاستعارة في المنجز اللساني العربي مقاربة تداولية، د/ صلاح ملاوي، د/ كادة ليلى، مجلة دراسات لجامعة الأغواط، ع/٣٠، ٢٠١٤م.

- الاستعارة في النقد الأدبي الحديث الأبعاد المعرفية والجمالية، د/ يوسف أبو العدوس، الأهلية ـ عمان ـ الأردن، الأولى، ١٩٩٧م.
- سنن أبي داود، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، د ـ ت.
- سنن الترمذي، تح/ محمد شاكر وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر، الثانية، ١٩٧٥م.
- السنن الصغير للبيهقي، تح/ عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي ـ باكستان، الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، دار الحديث ـ القاهرة، الأولى، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.
- شرح سنن ابن ماجة القزويني، لأبي الحسن الحنفي المعروف بالسِّندي، دار الجيل ـ بيروت، بدون.
- شرح صحيح البخارى، لابن بطال، تح/ ياسر إبراهيم، مكتبة الرشد ـ الرياض، الثانية، ٢٠٠٣م.
- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) تح/ د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز ـ الرياض، الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الخامسة، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، بدون.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تح/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٧٩م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب، تح/ محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية، الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.
- الفروق اللغوية، تح/ عماد البارودي، دار التوفيقية للتراث، ٢٠١٠م.
- فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي، تح/ عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.
- فهرسة ابن خير الإشبيلي، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الإشبيلي، تح/ محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، محمد عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر، الأولى، ١٣٥٦هـ.

- القاموس المحيط، الفيروزآبادى، تح/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الثامنة، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، علق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان، الثالثة، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح/ عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، الثانية، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
- الكناية والإيماء: نيابة عن الألفاظ التي توجب الاستحياء، يسري سعد عبد الله، مجلة كلية اللغة العربية ـ جامعة أم درمان الإسلامية ـ السودان، ع/٧، ٢٠١٤م.
- الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محمد الأمين، دار المنهاج، الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
- لسان العرب، دار صادر ـ بيروت، الثالثة، ١٤١٤هـ.
- اللغة العليا دراسات نقدية في لغة الشعر، د/ أحمد محمد معتوق، المركز العربي الثقافي ـ الدار البيضاء ـ المغرب، الأولى، ٢٠٠٦م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تح/ أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر، الفجالة ـ القاهرة، د ـ ت.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن الهروي، دار الفكر ـ بيروت، الأولى، ٢٠٠٢م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ للإمام: مسلم بن الحجاج، تح/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
- مشكاة المصابيح، للخطيب التبريزي، تح/ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الثالثة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
- مصنف عبد الرزاق الصنعاني، تح/ حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي ـ الهند، الثانية، ١٤٠٣هـ.
- معجم التعريفات، الشريف الجرجاني، تح/ محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة ـ القاهرة، ٢٠٠٤م
- معجم مقاييس اللغة، تح/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
- المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تح/ حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة، الثانية.

- مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، تح/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية، ٢٠١١م.
- مفاتيح الغيب ـ التفسير الكبير، للفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الثالثة ـ ١٤٢٠هـ.
- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تح/ صفوان عدنان، دار القلم – دمشق، الأولى ١٤١٢هـ.
- مناهج البحث العلمي تطبيقات إدارية واقتصادية، الرفاعي أحمد، دار وائل للنشر ـ عمان، ١٩٩٨م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الثانية، ١٣٩٢هـ.
- المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، المكتبة الأزهرية للتراث، د ـ ت.
- نيل الأوطار، للشوكاني، تح/ عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١٤٧
التمهيد	١٤٩
أولاً: التعريف بالإمامين البخاري ومسلمٍ وصحيحيهما	١٤٩
الإمام البخاري وصحيحُه	١٤٩
الإمام مسلم وصحيحُه	١٥١
مقامات ورود الإحياء والإماتة في الصحيحين	١٥٢
ثانيًا: تعريفُ الحقيقةِ والمجازِ وبلاغتُهما	١٥٣
ثالثًا: الإحياء والإماتة بين الحقيقة والمجاز	١٥٥
المطلب الأول: إسناد الإحياء والإماتة إلى الله ﷻ بين الحقيقة والمجاز	١٥٨
المحور الأول: إسناد الإحياء والإماتة إلى الله ﷻ على الحقيقة	١٥٨
أولاً: ما جاء في بيان عاقبة الكذب على رسول الله ﷺ	١٥٨
ثانيًا: إسنادهما إلى الله ـ ﷻ ـ على جهة الحقيقة في مقام الوعيد والزجر للكافرين	١٦٠
ثالثًا: ما جاء في مقام بيان منزلة الشهداء، وتمنّي الشهادة:	١٦٢
رابعًا: ما جاء في براءة إبراهيم ـ عليه السلام ـ من الشك في قدرة الله ـ ﷻ ـ على إحياء الموتى:	١٦٤
خامسًا: جاء في الصحيحين أن الله ـ ﷻ ـ يُميت ناسًا من أهل النار	١٦٥
المحور الثاني: إسناد الإحياء والإماتة إلى الله ﷻ على المجاز	١٦٦
المطلب الثاني: إسناد الإحياء والإماتة إلى غير الله ﷻ بين الحقيقة والمجاز	١٧٠
المحور الأول: إسناد الإحياء إلى غير الله ﷻ على الحقيقة	١٧٠
أولاً: ما جاء في خبر الدجال	١٧٠
ثانيًا: ما جاء في شأن المصورين وتَوَعُّدِهم	١٧٢

المحور الثاني: إسناد الإحياء والإماتة إلى غير الله ﷻ على المجاز	١٧٣
أولاً: إحياء الليل	١٧٣
ثانيًا: إماتة الصلاة	١٧٧
ثالثًا: أمر الله ﷻ يحيي المؤمنين والمؤمنون يُحيونه	١٨٠
رابعًا: إحياء الأرض الميتة	١٨٤
خامسًا: إحياء النفس البشرية بإنقاذها من القتل	١٨٦
الخاتمة	١٨٨
ثبت المصادر والمراجع	١٩٠